

**مظاهر التغير السلبي في واقع المسلمين المعاصر  
كما بينتها السنة النبوية وسبل مواجهتها  
في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي**

الدكتور

محمود خليل أبو دف

أستاذ أصول التربية المشارك

كلية التربية - الجامعة الإسلامية

مقدم لمؤتمر التربية في فلسطين ومتغيرات العصر

٢٣-٢٤/١١/٢٠٠٤م

المنعقد بكلية التربية في الجامعة الإسلامية بغزة

## Abstract:

The study aimed at highlighting the negative changes in Moslem lives today as indicated by Suna. It aimed also to explore the reasons that stood behind them, and how to progress within the Islamic framework.

The study showed that many of the negative changes of ourtime, were indicated by Propht Mohammed. There negative changes were caused manily by internal of factors including spirital, intellectual, psychological factors and some were in the belief itself, External factors are to come next. The researcher concluded with therapeutic solutions to confront the changes. These solutions are based upon case diagnosis and understanding the changing rules in Islam.

## ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة إلى إبراز مظاهر التغير السلبي في واقع المسلمين المعاصر، كما بينتها السنة النبوية المطهرة والكشف عن الأسباب التي تقف وراءها وكذلك التقدم بصيغة ملائمة لمواجهتها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي، أظهرت الدراسة أن ما أخبر عنه الرسول ﷺ أصحابه عن حدوث تغيرات سلبية في واقع المسلمين من بعدهم قد حدث بالفعل في واقعنا المعاصر وفي جميع مجالات الحياة، كما بينت أن هذه التغيرات السلبية ترجع بالدرجة الأولى إلى عوامل وظروف داخلية، روحية وعقائدية وفكرية ونفسية، وأمّا عوامل الغزو الثقافي الخارجية فهي تأتي بالدرجة الثانية وتوصل الباحث إلى صيغة علاجية لمواجهة هذه التغيرات، تحددت محتوياتها في ضوء تشخيص الحالة وفهم سنن التغيير في الإسلام.

## مقدمة:

يعد "التغير في حد ذاته ظاهرة طبيعية، تخضع لها مظاهر الكون وشتون الحياة بالإجمال وهو أكثر وضوحاً في الحياة الاجتماعية لأنها في تغير دائم وتفاعل مستمر" (مطر، ١٩٨٦: ص ١٠).

فالتغير هو القانون لا الثبات وليس هو أمراً عرضياً طارئاً وإنما هو صفة الوجود والحياة، حتى في عالم الجماد لا يبقى شيء على حاله (عبد الحميد، ١٩٨٣: ص ٤).

ولعل من بدهيات القول أن التغير السريع هو السمة البارزة التي تميز عالمنا المعاصر في كل نواحي الحياة وأن "التغير وما يحدث من تحولات عديدة في المجتمع دفع علماء الاجتماع والانثربولوجيا والتربية إلى تحليل ما يطرأ على المجتمع عموماً والتربية خصوصاً من تبدل وتحول وما يستدعيه ذلك من التدخل الواعي للسيطرة على التغير وضبط مسيرته في الاتجاه المرغوب فيه (الحاج أحمد، ٢٠٠٣: ص ٢٦٣).

ومن الضروري أن ننطلق لتحقيق ذلك من خلال مصادر التشريع واجتهاد العلماء المسلمين وقد وصف القرآن الكريم الرسول ٣ بأنه **حَرِيْرِيْصُوْلِيْ أَعْمَةً لِّلْإِسْلَامِ (بِالْمُؤْمِنِيْنَ رَوِّفٌ وَدِيْمٌ )** (التوبة: الآية: ١٢٨)، والرسول المرابي عليه الصلاة والسلام، حرص على توجيه المسلمين لأبواب الخير وتحذيرهم من عوامل الفتنة والانحراف والسقوط التي يمكن أن يقعوا فيها في المستقبل وإذا كان كلام الرسول ٣ وأفعاله تمثل بالنسبة لنا مصدر تشريع واقتداء، فعلياً أن نطيعه ونلتزم بأوامره وتوجيهاته لإصلاح واقعنا وتغييره نحو الأفضل.

وقد عرض السيوان (١٩٨٢) في دراسته لبعض حوادث القرن العشرين كما أخبر عنها الرسول ٣ وأوصى بالوقوف على أهم المتغيرات في واقع المسلمين المعاصر وتحليلها واقتراح صيغة لعلاجها.

وتطرق يالجن (١٩٩١) لمنابع مشكلات العالم الإسلامي المعاصر في المجال الاقتصادي والروحي والاجتماعي والسياسي وأوضح دور القيم الإسلامية في علاجها.

وعرض الكيلاني (١٩٩٥) لمفهوم الأمة المسلمة ومقوماتها وأساليب إخراجها من جديد وفق التصور الإسلامي.

ومن خلال تأمل واقع المسلمين اليوم، يلحظ انتشار أمراض عديدة ليست وليدة لحظة مفاجئة ولا فترة قصيرة، بل هي نتيجة أخطاء تراكمت خلال قرون طويلة، غفل فيها المسلمون عن حقيقة دينهم وجوهر الإيمان والتوحيد وألتهتهم الدنيا والأمني فكان حصاد ذلك فواجع ونكبات وهزائم (النحوي، ١٩٩٥: ص ١٣).

إن الإحساس بمشكلاتنا خلف المسلمين وإمكانية التغيير والنهوض الحضاري، كان قدراً مشتركاً بين رواد الإصلاح والتجديد والنهوض عامة، ولكن المشكلة تكمن في عدم الرسوخ في فهم الأزمنة والإحاطة

بعلمها وإدراك جوانبها المتعددة وأسبابها القريبة والبعيدة واكتشاف السنن والقوانين للخروج منها (حسنة، ١٩٩٤: ص ٢٦).

ومن خلال مئة الباحث ومتابعته لواقع المسلمين المعاصر، وإدراكه لحجم المأساة التي يعيشونها، في ظل تأمر أهل الكفر وتواطؤ رموز الفساد في العالم العربي والإسلامي، تولّد لديه فكرة الدراسة والتي جاءت لتشخيص المعضلة في ضوء السنة النبوية حيث أخبر الرسول ﷺ أصحابه عن العديد من التغيرات السلبية التي ستحدث في حياة المسلمين المستقبلية وقد تحقق ذلك بالفعل من خلال المعاينة، مما يستدعي معالجة الموضوع انطلاقاً من الفهم السليم للسنن الربانية وفي ضوء التوجيه التربوي الإسلامي.

### ٧ مشكلة الدراسة:

في ضوء ما سبق، يمكن أن تصاغ مشكلة الدراسة في الأسئلة التالية:

- ١- ما أهم السنن المتعلقة بالتغيير في الإسلام؟
- ٢- ما أبرز مظاهر التغيير السلبي في واقع المسلمين المعاصر، كما بينتها السنة النبوية المطهرة؟
- ٣- ما الأسباب التي تقف وراء تغيير واقع المسلمين المعاصر في الاتجاه السلبي؟
- ٤- ما الصيغة الملائمة لمواجهة مظاهر التغيير السلبي في واقع المسلمين في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي؟

### ٧ أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- ١- الكشف عن السنن المتعلقة بالتغيير في الإسلام.
- ٢- تحديد مظاهر التغيير السلبي في واقع المسلمين المعاصر كما بينتها السنة النبوية المطهرة.
- ٣- توضيح الأسباب التي تقف وراء تغيير واقع المسلمين المعاصر في الاتجاه السلبي.
- ٤- التقدم بصيغة ملائمة لمواجهة مظاهر التغيير السلبي في واقع المسلمين المعاصر في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي.

### ٧ أهمية الدراسة:

تكتسب الدراسة أهميتها من خلال ما يلي:

- ١- أهمية موضوع التغيير وحيويته بالنسبة للباحثين لاسيما في العلوم الشرعية والتربوية والاجتماعية والسياسية.
- ٢- تعد الدراسة محاولة لتناول مشكلة ملحة في واقع المسلمين في ضوء التصور الإسلامي.

٣- يأتي تناول هذا الموضوع في عصر التغيرات المتسارعة والعنيفة والتحديات والأخطار التي تحق بالأمة وتحاصرها من جهات عديدة.

٤- افتقار البيئة العربية بشكل عام والفلسطينية على وجه الخصوص إلى هذا النوع من الدراسات على حد علم الباحث.

٥- يمكن أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة:

- الباحثون المهتمون بدراسة موضوع التغير والتأصيل له وفق الرؤية الإسلامية.
- رجال الدعوة والفكر المعنيين بإصلاح المجتمع وتغيير واقع الأمة نحو الأفضل.
- مؤسسات التعليم والتربية المسئولة عن بناء شخصية المواطن وتنمية المجتمع.

#### ٧ حدود الدراسة:

تدور هذه الدراسة حول السنة النبوية، من خلال التركيز على الأحاديث الواردة في كتب الملاحم والفتن ما أمكن وما تشير إليه من تغيرات سلبية في واقع المسلمين وما تقدمه من تفسير لها مع الاستعانة ببعض كتب التفسير واجتهادات العلماء في مجال الدعوة إلى الله وميدان بناء الشخصية المسلمة.

#### ٧ منهج الدراسة:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تناول الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع لدراسة واستخراج ما فيها من مضامين والعمل على تصنيفها ومن ثم إدراجها تحت العناوين الخاصة بها والمعبر عنها في أسئلة الدراسة.

#### ٧ مصطلحات الدراسة:

استخدمت الدراسة المصطلحات التالية:

##### ١- السنة النبوية:

وهي تعني "ما أثر عن النبي ٣ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة" (السباعي، ب.ت، ص ٤٧).

##### ٢- التغير:

ويقصد به "التحول من حال إلى حال" (ناصر، ١٩٩٠: ص ١١٣).

##### ٣- مظاهر التغير السلبي في واقع المسلمين:

يقصد بها الباحث "التحولات السلبية الحادثة في واقع المسلمين المعاصر في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والأخلاقية والعلمية والثقافية والسياسية والاقتصادية، والتي أخبر عنها المعصوم ٣ أصحابه رضوان الله عليهم".

## أولاً : سنن التغيير في الإسلام:

عملية التغيير كنشاط بشري، لها سنن وقوانين، كما هو الحال في علوم الكونيات والواقع وغفلتنا في عالم التغيير النفسي والاجتماعي عن بعض تلك السنن يضعنا أمام المعضلات التي لا نستطيع تجاوزها ولعل السبب يكمن في أننا نعالج الأمور بسطحية وسذاجة وعاطفية متدفقة غير منضبطة بضوابط العقل الواعي، فبوابة الطريق تكون بدراسة عقيدتنا وأن نعيشها حتى نفهم طبيعة عمل هذا الدين في حياتنا وطريقة التغيير المطلوب، فالدين ما جاء ليعمل في حياتنا بطريقة سحرية غامضة الأسباب مجهولة النتائج، إنما جاء ليعمل بجهد البشر حسب ظروفهم وواقعهم (السيروان، ١٩٨٢: المقدمة).

وما من شك في أن الوقوف على سنن التغيير ودراستها، يعد خطوة هامة في تغيير الواقع وقد أوصى (البناء، ١٩٩٢: ص ١٦١) بعدم التصادم مع نواميس الكون لأنها غالبة وقد أرشد إلى استخدامها والاستعانة ببعضها على بعض.

فله عز وجل في فَهَلْ لَّسِنٌ تَنْطَرِقُ يَنْوِي إِلِالْأَكْهَسُ(تَتَ الْأَ وَلِينَ فَالَنَ تَجِدَ لِسُ دَتَ تَبْدِيلًا وَ لَنَ تَجِدَ لِسُ دَتَ اللّٰهَ تَدْوِيلًا) (فاطر الآية: ٤٣)، وقد أمر الله عباده بتأمل سننه في خلقه كما قَدْ خَلَتْ جَلْنَ فِي الْبَلَدِ لِكَيْمُ الْقَوْلِ يَذُنُ فَسِيرُ وَ فِي الْأَرْضِ فَانظُرْ وَ اذْهَبْ كَمَا عَاقِبَةُ الْأُمُ كَذِبِينَ ) (آل عمران الآية: ١٣٧).

### • مفهوم السنن:

السنن جمع سنة وتطلق على معانٍ كثيرة منها الوجه والصورة والطريقة والسيرة (ابن منظور، ١٩٦٨، ج ١٣: ص ٣٤).

وأما السنن اصطلاحاً فيقصد بها "ما جرى به نظامه تعالى في خلقه" (عبد الفتاح، ١٩٨٣، ص ٣٣١) ويشير (حسن، ١٩٩٥: ص ٩٥) إلى أن علم السنن التي شرعها الله عز وجل للإنفس والآفاق، تعد من فروض الكفاية أو من الفروض الحضارية التي غفل عنها المسلمون جماعات وأفراداً باستثناء بعض الملحوظات والإشارات التي لم ترق إلى مستوى العلم.

وبناءً عليه علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم نستمد ما فيها من الهداية والموعظة وعلى أقل وجه، يجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها بالإجمال وبينها العلماء بالتفصيل (حسن، ١٩٩٥: ص ٩٢).

وعلى الأمة إدراك أنه "إذا حصل تقصير في مراعاة السنن فإنه عليها أن تتقبل نتيجة التقصير، فإن كونهم مسلمين لا يقتضي خرق السنن لهم وإبطال النواميس، وإنما هم مسلمون يطابقون حياتهم كلها على السنن ويصطلحون بفطرتهم كلها مع الناموس" (قطب، ١٩٨٠، ج ١: ص ٥١٤).

وبالإجمال يمكن تلخيص أبرز السنن المتعلقة بالتغيير في واقع الناس على النحو التالي:

#### أ- التغيير عملية إنسانية:

إن إبراز دور الإنسان في منهج التغيير بدرجة كافية غدا من الضرورات الملحة جداً ذلك أن المذهبية الإسلامية جعلت الإنسان مدار الحركة الحضارية، وأوكلت إليه مهمة التغيير والبناء وكلفته لتحقيق الخلافة على هذه الأرض وإدارة الصراعات التي تجري فوقها، ويقوم الإنسان بهذا الدور التاريخي من خلال عقله المدرك في عالم الشهادة وشعوره وطاقاته التي زوده الله بها (محسن، ١٩٨٣: ص ٣٩، ٤٠).

لقد اقتضت سنة الله أن الإنسان هو صانع التغيير في الحياة وأن سنن الله وإرادته في التغيير تنطلق من خلال إرادته، فالله عز وجل خلق الإنسان وأراد له أن يريد ورتب حركة التغيير على إرادته وهذه سنة مطردة، لا تتال من إرادة الله لأنها في نهاية المطاف لا تخرج عن خلق الله وسنته وإرادته في تيسير شئون الكون والإنسان (حسنة، ١٩٩٤: ص ٢٠).

وينتقد (قطب، ١٩٨٠: ج ٣، ص ١٥٣٦) السلبية الدليلة التي تفرضها المذاهب المادية على الإنسان فتجعل منه عنصراً سلبياً إزاء الحتميات الجبارة، حتمية الاقتصاد وحتمية التاريخ وحتمية التطور إلى آخر الحتميات التي ليس للكائن الإنساني إزاءها حول ولا قوة.

وقد أكد القرآن الكريم على إرادة الإنسان ودوره في عملية التغيير سواء كان ذلك في الاتجاه الإيجابي أو السلبي لهما بآية: **فَاللَّهُ وَلِيٌّ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا** (الأنفال الآية: ٥٣).

وعلى الرغم من أن تغيير ما بالأنفس أساس تغيير المجتمع، إلا أن الفردية وحدها ليس لها حظ في التغيير الشامل، الذي يقوم على العمل الجماعي وليس على أساس الجهود الفردية غير المتسقة والتي - أحياناً - تكون متضاربة ولا تؤدي إلى الغرض المطلوب (علي، ١٩٩٣: ص ١٧٩).

وإذا كنا نريد بناء حضارة قوية، فلا بد من أن نبرز مكانة الإنسان في كل ناحية من نواحي الحياة، حتى يصنع تاريخه بنفسه ويغير واقعه نحو الأفضل، ولا يكون ذلك إلا حينما نحترم آدميته ويشعر بتكريمه وينعم بالأمن النفسي والاجتماعي حتى نستثمر طاقاته في خدمة مجتمعه وأمته، ذلك أن الإنسان الذي تهدر إنسانيته وتطمس معالم شخصيته، معطل القوى ضعيف غير قادر على المشاركة في بناء مجتمع الإنسان (عبد الحميد، ١٩٨٣: ص ٦٧).

وتتلخص مهمة البشر في عملية التغيير، في تهيئة الأسباب والتفاعل معها واكتشاف السنن والاستفادة منها، فلإنسان سلطان على نفسه وإذا حدث أن غير البشر ما بأنفسهم، كان وعد الله لا

محالة، فالإنسان ليس لديه قدرة على خلق النتائج ودوره يتلخص في الاستفادة من السنن الموضوعية والأخذ بالأسباب (مطر، ١٩٨٦: ص ص ٢٩، ٣٠).

فسنة الأخذ بالأسباب مقررة في كون الله **تَعَالَى** وكتبه **مَالِكُ بْنُ أَبِي دِيَرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَكُمْ وَرَبُّهُ **وَالْمَدُونِ** (التوبة: الآية: ١٠٥) وقد أمر الله سبحانه وتعالى مريم أن تأخذ بالأسباب وهي في **وَهَزِيئَتِنَا يَسْتَكْبِرُ تَتَّخِذُ الْإِذْلَةَ تَسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَدِيًّا** (مريم الآية: ٢٥).

فالمسلم عليه أن يأخذ بالأسباب وهو يعتقد أن الأسباب والوسائل هي المنشئة للمسببات والنتائج، فهو يرد الأمر كله إلى خالق الأسباب ويتعلق به وحده من وراء الأسباب، بعد أداء واجبه في الحركة والسعي والعمل (قطب، ١٩٩٣، ص ١٢٠).

والمتتبع لسيرة الرسول ﷺ يلحظ حرصه على الأخذ بكل الأسباب المتاحة وقد تجسد ذلك جلياً في حادثة الهجرة من مكة إلى المدينة، حيث لم يترك أمراً من الأمور إلا إذا أخذ به وكذا كان فعله عليه الصلاة والسلام في كل الغزوات التي خاضها ضد الكفر والشرك.

وبناء عليه على الأمة الإسلامية اليوم، إذا أرادت أن تتجاوز مرحلة الوهن والعجز إلى مرحلة القوة والبناء، أن تكف عن السلبية وتنهض للأخذ بالأسباب المتاحة التي تحقق الأهداف المنشودة، وتغير واقعها السلبي بعد تغيير ما بالأنفس **عَلَيْهَا بِاللَّوَجِيلِ لَا يَلْقَوْنَ فِيهَا (مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيَّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)** (الرعد: الآية: ١١).

فالأمة الإسلامية عليها أن تعتمد منهج التغيير النفسي على أنه وسيلتها إلى بناء مجتمع أفضل تزدهر فيه قوى الخير وتنتصر فيه إرادة الحق (يوسف، ١٩٩٧، ص ٢١٣) ذلك أن "التغيير الذي يقود إلى البناء ويكون وسيلة الأمم لصنع التقدم، إنما يعني إحداث ثورة داخل كيان الإنسان لصالح نفسه ولصالح الحياة من حوله وتم هذه الثورة أولاً داخل النفس ثم تتجه بعد ذلك إلى إحداث التغيير في المجتمع وكما يتم التغيير في إطار المجتمع بثورة تكتسح المخلفات العفنة والرواسب الفاسدة، فكذلك التغيير داخل إطار النفس الإنسانية، إنه ثورة تكتسح من النفس كل عوامل الفساد وأسباب التردّي والهبوط ودواعي الانحراف والضلال" (سبع، ب.ت، ج ٢: ص ٣٦٤).

ويشير (القرضاوي، ١٩٩٢: ص ٥٣-٥٥) إلى ضرورة أن "يتوجه التغيير إلى ما بداخل الأنفس من مفاهيم مغلوطة وأفكار ميتة ومبادئ فاسدة وأخلاق مذمومة وصفات مردولة إلى مفاهيم صحيحة وأفكار حية ومبادئ صالحة وأخلاق محمودة وصفات طيبة ويجب أن يتهيأ الأفراد في الأمة الإسلامية لحياة غير الحياة التي ألفوها، حياة إيمان وعمل صالح وعبادة وعلم وجهاد، حياة إنتاج وعمل لا بطالة وكسل حياة جد لا هزل حياة اعتدال لا ترف حياة إصرار لا استرخاء".

ب- المعصية من أسباب تغيير الحال للأسوأ:

بَيِّنَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَنَّ مِنْ بَيْنِ الْمَصَائِبِ الَّتِي يَبْتَلِي بِهَا النَّاسَ، تَكُونُ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي تَكُومُ مَصْدِقًا لِمَا قَبْلُهَا (تَمَّ مَثَلُهَا مَا قَدَّمْتُمْ أَنْتَى هَذَا قَلُّ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ ) (آل عمران: الآية: ١٦٥).

وحينما سألت زينب بنت جحش الرسول عليه الصلاة والسلام "أنهلك وفينا الصالحون، قال: نعم إذا كثرت الخبث" (البخاري، ١٩٨٧، ج ٣: ص ١٢٢).

ويوجه القرآن الحكيم الناس إلى النظر في جريان سنن الله في الأهلِمِ الضالِّفِ (مِنْ قَبْلِكُمْ سُدُنٌ فَسِيرٌ وَفِي ظُرِّ الْأَوَارِكِ يَضْفُ كَانِ عَاقِبَةُ هَالِفًا بِدِيَابِلِنَ لِبَّاسٍ وَهُدَى وَمَوْعِظَةٌ لِمُتَّقِينَ ) (آل عمران الآية: ١٣٨).

ويشير (قطب، ١٩٨٠، ج ٢، ص ١٠٣٨) إلى أن المعصية، لا يترتب عليها ذنب وعقاب في الآخرة فحسب، وإنما يتعدى ذلك إلى كونها سبباً من أسباب هلاك الأمم وتغيير أحوال المجتمعات نحو الأسوأ وهذه سنة ماضية، تصير إليها الأمم حين نقشو فيها الذنوب.

وقد عرض القرآن الكريم لنا مثلاً، يبرز من خلاله مواطن القوة والضعف في المجتمعات ويقدم تفسيراً لتبدل حالها من **لَا نُنْعِمُ إِلَّا الْفَاقِئِينَ (بِهَ كِبَانِكَ أَمْنَةً مَطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مَا كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْعُقُونَ )** (النحل الآية: ١١٢).

### ج- التدافع:

الصراع والتدافع هو سبيل الحيوية والنمو والازدياد وعلاقة الحياة والاستمرار وهو إحدى محركات الحياة الاجتماعية وامتداد التاريخ البشري ذلك أن الصراع بين الخير والشر، بين المعروف والمنكر، لا يتوقف إلا بانتهاء الحياة (حسنة، ١٩٩٥: ص ٨٨).

لذا رأى العلماء أنه من المستحيل واقعاً وشرعاً، أن يسلط الله على البشرية ظالماً واحداً يتحكم في مصيرها لفترة طويلة، ذلك أن التدافع يكون بين الظلمة أنفسهم وبين الحق، وهذا سنة جارية في الحياة حتى يتوقف التاريخ ويتغير نظام الكون (حسنة، ١٩٩٥، ص ٨٩).

فالحياة بطبيعتها لا تخلو من وجود الصراع بين البشر، وقد أوجد الله جلَّتْ حِكْمَتُهُ هَذَا الصَّرَاعَ أَوْ التَّدَافِعَ فِي حَيَاتِهِمْ وَجَعَلَهُ سَنَةً مِنْ سُنَنِ الَّتِي تَجْرِي بِهَا الْحَيَاةُ الْبَشَرِيَّةُ لِغَايَةِ مَعِينَةٍ (الطباطباني، ١٩٨٣: ص ٣٨٠).

ولقد ورد تقرير هذه السنة الربافية لَفِي قَوْلِهِ فَفَعَّ وَبَلَّغَهُ (النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ الْأَرْضَ لَوْسَدَ كِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ) (البقرة الآية: ٢٥١).

وجاء في تفسير الآية السابقة "ولولا أن الله يدفع ببعض الناس وهم أهل الطاعة له والإيمان به بعضاً وهم أهل المعصية له والشرك به لفسدت الأرض بمعنى لهلك أهلها بعقوبة الله إياهم ففسدت بذلك الأرض ولكن الله تعالى ذو من على خلقه وطول عليهم، بدفعه بالبر من خلقه عن الفاجر وبالمطيع عن العاص منهم" (الطبري، ١٩٨٧، ج ٢: ص ٤٠٣).

ويقدم صاحب الضلال تفسيراً لظاهرة التدافع بين الناس مبيناً ثمارها بقوله: "لقد كانت الحياة كلها تأسن وتتغن، لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها، أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم لتتطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتكالب وتتدافع فتتفرض عنها الكسل والخمول وتستجيش ما فيها من مكونات مذخورة وتظل أبداً يقظة عاملة مستتبطة لذخائر الأرض مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة، وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء بقيام الجماعة المستهدية المتجردة وتعرف الحق الذي بينه الله تعالى لها وتعرف طريقها إليه واضحاً وتدرك أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله تعالى إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل وتحتمل في سبيله ما تحتمل، طاعة لله تعالى وابتغاء لرضاه" (قطب، ١٩٨٠، ج ١: ص ٢٧٠).

فالله تعالى يعلم أن الشر متبجح ولا يمكن أن يكون منصفاً، وهو لا يدع الخير ينمو مهما سلك هذا الخير طرق سلمية موادعة، فإن مجرد نمو الخير يحمل الخطورة على الشر ولا بد أن يجنح الشر إلى العدوان والمدافعة عن نفسه ومن هنا يقع التدافع بين الحق وأهله والباطل وحزبه (قطب، ١٩٨٠، ج ٢: ص ٧٤٢).

ويشير القرآن الكريم إلى أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن أوليائه المؤمنين في صراعهم مع

عُضَاهُمْ بِدُؤَالِ ظُلُمَاتِهِدُ (فَعُ ثَلَاثَةُ النَّوَّاسِلِمَعُ وَبِيَعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا مَا لِيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج الآية: ٤٠).

ولقد شاء الله تعالى أن يجعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريق أنفسهم، كما يتم نضجهم أثناء هذا التدافع، فالبنية الأساسية لا تستيقظ كل الطاقات المذخورة فيها، كما تستيقظ وهي تواجه الخطر وتدفع وتدافع وتستجمع كل قوتها لتواجه القوى الهاجمة، عندئذ تتحفز كل خلية بكل ما أودع الله تعالى فيها من استعداد لتؤدي دورها ولتتساند مع الخلايا الأخرى في العمليات المشتركة ولتؤتي أقصى ما تملكه وتبذل آخر ما تتطوي عليه وتصل إلى أكمل ما هو مقدور لها ومن أجل ذلك كله ومن أجل غيره مما يعلمه الله جلت حكمته، جعل دفاعه عن الذين آمنوا يتم عن طريق أنفسهم ولم يجعله لقيه تهبط عليهم من السماء بلا عناء (قطب، ١٩٨٠، ج ٤: ص ٢٤٢٥).

د - المدالوة:

فالأيام بين الناس دول والحال لا يبقى على ما هو عليه وقد عبر عن هذه السنة الإلهية في خلقه  
إِنْ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ لَكُمْ لَوْ قَوْمٌ حَرَفْتُمْ هَاتِلِكُمْ وَالْقُلُوبَ الْأَيَّامُ نُزِدْ أُولَئِكَ بِدِينِ النَّاسِ (آل عمران  
الآية: ١٤٠).

ويبين صاحب الظلال الآثار التربوية لسنة المداولة بقوله: "ولكن الأحداث ومداولة الأيام بين  
الناس تكشف المخبوء وتجعله واقعاً في حياة الناس وتحول الإيمان إلى عمل ظاهر وتحول النفاق كذلك  
إلى تعرف ظاهر ومن ثم يتعلق به الحساب والجزاء، فالله سبحانه وتعالى لا يحاسب الناس على ما يعلمه  
من أمرهم ولكن يحاسبهم على وقوعه منهم ومداولة الأيام وتعاقب الشدة والرخاء محك لا يخطئ وميزان  
لا يظلم والرخاء في هذا كالشدة وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك ولكنها تتراخي بالرخاء وتتحل  
والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ولا تستخفها السراء وتتجه إلى الله في الحالين وتؤمنناً ما  
أصابها من الخير والشر فبأذن الله" (قطب، ١٩٨٠، ج ١: ص ٤٨١).

وأخبر المولى سبحانه وتعالى عباده عن استبداله إياهم بقوم آخرين حالة توليهم، فهو عز وجل لا  
يحب أن يحصلوا قلوبهم بغيركم ثم لا يكدؤوا أمثالكم (محمد الآية: ٣٨).

وأخبر الرسول عليه الصلاة والسلام عن حالة التداول والتبدل الحادث في نظام الحكم على امتداد  
تاريخ الأمة وقد قدم وصفا دقيقاً لكل مرحلة بقوله: "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله  
إذا شاء ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم  
تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون  
ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافةً على منهاج النبوة ثم سكت" (الألباني،  
١٩٩٥، ج ١: ص ٣٤).

#### هـ- سنة التدرج:

التدرج من السنن الربانية في الخلق والكون، وينبغي على الأمة أن تراعيها وهي تعمل من أجل  
تغيير واقعها، ويقصد بمراعاة سنة التدرج هنا أن تتدرج الأمة في عملها وسعيها إلى تغيير واقعها من  
السهل إلى الصعب ومن الهدف القريب إلى الهدف البعيد ومن الخطة الجزئية إلى الخطة الكلية، ومنطلقاً  
هذه السنة، أن الطريق طويل، لاسيما في هذا العصر الذي تتمرت فيه الجاهلية وضرب الشر والفساد  
جنوره في أعماق الأمة وعليه فلو قطعت الطريق في نفس واحد مع ثقل الحمل وضخامة التبعة لكان  
الانقطاع وبالتالي القعود أو الفتور والتواني الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى رد فعل أشد وأعنف (نوح،  
١٩٩١: ص ص ٦٨، ٦٩).

وتشدد الحاجة إلى ترسيخ هذه السنة مع وجود بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامية،  
يحسبون أن التمكين يمكن أن يتحقق بين عشية وضحاها ويريدون أن يغيروا الواقع الذي تحياه الأمة

الإسلامية في طرفة عين دون نظر في العواقب ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ودون إعداد جيد للمقدمات أو الأساليب والوسائل (نوح، ج ١: ص ص ٥٧، ٥٨).

وقد وجه الله تعالى أنظارنا إلى هذه السنة في أكثر من موقع، حيث أشار في كتابه إلى خلق السماوات والأرض في ستة أيام يعلمها ويقدر مقدارها، وكذلك خلق الإنسان عبر أطوار متدرجة في مراحل حتى تبلغ نماءها وكمالها وفق سنته عز وجل. ولعل أوضح مثال في قضية التدرج، ما حصل في تحريم الخمر التي كانت متغلغة في ثغور الناس فجاء تغيير هذه العادة السيئة والراسخة عبر مراحل.

ويقدم (قطب، ١٩٩٢: ص ص ٣٧، ٣٨) وصفاً للمنهج الإسلامي في التغيير لقوله: "إن أيسر ما في المنهج الرباني أنه وهو يضع في حسابه البلوغ إلى القمة لا يتعسف الطريق ولا يتعجل الخطى ولا يخطي المراحل، فهو يسير هيناً ليناً مع الفطرة يوجهها من هنا ويدودها من هناك ويقومها حتى تميل ولكنه لا يكسرهما ولا يحطمها ولا يجهدا بل يصبر عليها صبر العارف البصير الواثق من الغاية البعيدة فالذي لا يتم في الجولة الأولى يتم في الجولة الثانية، وكما تنبت الشجرة الباسقة وتضرب بجذورها في أعماق التربة وتتطاول فروعها وتتشابك، كذلك ينبت هذا المنهج في النفس والحياة ويمتد في بطنٍ وعلى هيئة وفي ثقة وطمأنينة ثم يكون ما يريد الله أن يكون".

و "هذه السنة الربانية في رعاية التدرج، ينبغي أن نتبع في سياسة الناس وعندما يراد تطبيق الإسلام في الحياة واستئناف حياة إسلامية متكاملة يكون التمكين ثمرتها فإذا أردنا أن نقيم مجتمعاً إسلامياً حقيقياً، فلا نتوهم أن ذلك يمكن أن يتحقق بقرار يصدر من رئيس أو ملك أو مجلس قيادي أو برلماني، إنما يتحقق بطريق التدرج أي الإعداد والتهيئة الفكرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية وهو المنهج نفسه الذي سلكه النبي ﷺ لتغيير الحياة الجاهلية إلى الحياة الإسلامية، فقد ظل ثلاثة عشر عاماً في مكة، كانت مهمته الأساسية فيها، تتحصر في تربية الجيل، المؤمن الذي يستطيع أن يحمل عبء الدعوة وتكاليف الجهاد كما بينها ونشرها في الآفاق ولهذا لم تكن المرحلة المكية مرحلة تشريع بقدر ما كانت مرحلة تربية وتكوين" (القرضاوي، ١٩٨٩: ص ١٦٨).

ومن أهم ما ينبغي أن يراعيه العاملون من أجل تغيير واقع المسلمين، فقه الأولويات بمعنى وضع كل شيء في مرتبته فلا يؤخر ما حقه التقديم أو يقدم ما حقه التأخير، وهذا ما تأمر به أحكام الشرع وتقضي به قوانين الكون وهذا الفقه غائب عن كثير من المسلمين فنجدهم يهتمون بالفروع قبل الأصول وبالجزئيات قبل الكلليات وبالمختلف فيه قبل المتفق عليه وينثرون معارك من أجل نافلة وقد ضيع الناس الفرائض ومن أجل شكل أو هيئة دون اعتبار المضمون" (القرضاوي، ١٩٩٢: ص ٣٤-٣٧) ن "من فقه الأولويات أن نعرف أي الأعداء أولى بتوجيه قوانا الضاربة له وتركيز العمل يسير في خطة المستقيم مركز المفعول مكثف الجهد قريب الثمرة" (القرضاوي، ١٩٩٢: ص ص ٣٧، ٣٨).

ثانياً : مظاهر التغير السلبي في واقع المسلمين المعاصر كما جاءت في السنة النبوية:

أخبر المعصوم عليه الصلاة والسلام الذي لا ينطق عن الهوى، عن أحداث وتغيرات في واقع الأمة المعاصر، وحذر من شرورها وآثارها الخطيرة وهو يتحدث لأصحابه رضوان الله عليهم، وكان من بين ما أشار إليه إخباره عليه الصلاة والسلام عن تراجع الأمة في دينها وأخلاقها بعد عصره كما جاء في الحديث الشريف "خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن" (البخاري، ب.ت، ج ٢، ص ٢٨٧، ٢٨٨)، فمرحلة القوة والتميز المشار إليها في الحديث السابق، هي فترة السيرة والخلافة الراشدة المشهود لها من الرسول ٣، التي تعد فترة القدوة في تحقيق الرؤية القرآنية وبيانها النبوي لتكون هذه الفترة الراشدة دليلاً ومعياراً لكل العصور حتى لا يكرس التضليل الثقافي وبطبع المنكر وخاصة في فترات الهزائم والانهيارات، وتنتقص معاني الجهاد فيها فتصبح من خوف الموت في موتٍ ومن خوف الذل في ذل (حسنة، ١٩٩٥: ص ٧٦).

وأشار النبي ٣ في هديه، إلى مراحل صحة الأمة ومرضها في جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والأخلاقية بقوله "هذا الأمر بدأ رحمةً ونبوةً ثم يكون رحمةً وخلافةً ثم كليلٌ ملكاً عضواً ثم كائنٌ عتوٌ أو جبراً وفساداً في الأرض، يستحلون الحرير والفروج والخمر ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلقوا الله عز وجل" (البيهقي، ١٩٨٩، ج ٥: ص ١٧).

والمتمأمل في واقع المسلمين اليوم، يجد فيه الكثير من الانحرافات عن منهاج النبوة الذي ارتضاه الله عز وجل لعباده، بل إن المسلمين اليوم في عالمنا العربي والإسلامي في حالة ردة أو ترك قليل أو كثير لهذا الدين إلا قليلاً وقد آلت أجهزة الحكم كلها تقريباً إلى مرتدين أو منافقين أو كذابين (حوى، ٢٠٠٤: ص ٩).

ولقد صار أمر هذه الأمة كاليتيم على موائد اللئام وذلك عندما تركت دينها ورائها فضر بها التتار والصليبيون واليهود وتسلط الأعداء على رقاب المسلمين (عبد العظيم، ١٩٩٨: ص ١٥)، وعبر عن هذا الواقع قوله ٣ في حق الأمة محذراً ومنبهاً "يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفقٍ كما تداعى الأكلة على قصعتها قال: قلنا: يا رسول الله من قلّة بنا يومئذٍ قال أنتم يومئذٍ كثير ولكن تكونون غثاءً كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوبكم عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن قال: قلنا: وما الوهن قال: حب الحياة وكراهية الموت (ابن حنبل، ب.ت، ج ٥: ص ٢٧٨).

فالتداعي على الأمة اليوم لا يحتاج إلى التذليل عليه، حيث وصلت الحال بنا إلى أن تحاربت الأمم لنهب خيراتها وأكلنا من كل الوجوه وتسابقوا وتقاسموا ونحن لا نبالي وقد جاوزنا المليار نسمة ولم يزلهمسكناً الوهن وأصبحنا لا نقدم ولا نؤخر في صناعة القرار؛ لتتجرأت الأمم الأخرى علينا وحاربتنا وسامتنا سوء العذاب بالتقتيل والتشريد والسلب والنهب في بلاد أفغانستان والشيشان والبوسنة وما فعله

التنار قبل ذلك في بغداد وما أشبه اليوم بالأمس (التويم، ١٩٨٦: ص ١٦٨) وفي ضوء ما سبق، يمكن إجمال أبرز التغيرات السلبية في حياة المسلمين المعاصرة - كما أخبر عنها المعصوم ٣ وانطبقت على الواقع من خلال الملاحظة والمعاشة - على النحو الآتي:

#### أ - المجال الاجتماعي والأخلاقي:

##### ١- ضياع الأمانة واضطراب المعايير الأخلاقية وفسادها:

فالمتمأمل في واقع المسلمين اليوم، يرى بجلاء إسناد الأمر إلى غير أهله في جميع مجالات الحياة غالباً، وقد حذر الرسول المعلم ٣ من ذلك واعتبره علامة من علامات الساعة حينما سئل أخبرني الساعة فأجاب: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة قال: كيف أضاعها، قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة" (البخاري، ١٩٨٧، ج ١، ص ٣٣).

وقد تبدلت المعايير الأخلاقية وفسدت في حياة المسلمين اليوم وأصبحت موازين الإسلام كأنها مفقودة (حوى، ١٩٨٨: ص ١٥٩)، وعبر عن هذا الحال قوله عليه الصلاة والسلام: "يأتي على الناس سنوات خدّاعات يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الروبيضة، قيل: وما الروبيضة؟ قال: الرجل التافه يتحدث في أمر العامة" (ابن ماجه، ب.ت، ج ٢: ص ١٣٤٠).

ومن مظاهر اضطراب المعايير الاجتماعية في حياة المسلمين، أن أصبح الراقصون والمغنون والممثلون يقدمون على سائر فئات المجتمع باسم الفن وصاروا نجوماً يهتدى بهم وتتبع أخبارهم (عبد العظيم، ١٩٩٨: ص ١٢).

##### ٢- انتشار الكذب:

فقد أصبح الكذب عند الكثير من المسلمين اليوم أمراً طبيعياً، تُساق له تبريرات عجيبة ويطلق عليه أوصاف مختلفة، فهناك كذبة نيسان، والكذبة البيضاء، والكذب تحت غطاء المزاج والفكاهة، وتارة يسمى الكذب فهلوة، على الرغم من أن الكذب من أكبر الآفات الأخلاقية التي حذر منها الإسلام والرسول ٣ ينبئنا عن أولئك الكذابين في آخر الزمان محذراً منهم بقوله: "سيكون في آخر أمتي أناس، يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فيأكم وإياهم" (مسلم، ب.ت، ج ١: ص ١٢). وجاء في التوجيه النبوي الشريف "إني بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم" (مسلم، ب.ت، ج ٣: ص ٤٥٣).

##### ٣- انتشار العادات والتقاليد الفاسدة:

إن نظرة عاجلة لواقعنا اليوم تكشف لنا مدى انتشار عادات وتقاليد اجتماعية فاسدة ومنحرفة عن دين الله وشرعه، وقد دخلت ميادين عديدة في حياة المسلمين حتى ألغتها الناس وذهب بعضهم إلى الدفاع عنها (النحوي، ١٩٩٥: ص ٨١).



عليه الصلاة والسلام المسلمين من الجنوح إلى القتل فيما بينهم "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٢: ص ١٣٠٠).

#### ٥- شيوع التباغض ووهن العلاقات بين المسلمين:

حيث أخبر الرسول ٣ عن هذه الداء الذي يصيب أمته بقوله: "سيصيب أمتي داء الأمم فقالوا: يا رسول الله وما داء الأمم؟ قال: الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي" (الحاكم، ١٩٩٠، ج ٤: ص ١٨٥).

#### ب- المجال العلمي الثقافي:

فمن خلال معايشة الواقع التعليمي والثقافي في بلاد المسلمين يلحظ -رغم الإقبال الشديد على التعليم واكتساب الثقافة- غياب مفهوم التعبد بالعلم لله وارتباط التعليم بالمظهرية والرياء والسمعة إلا من رحم الله ولعل من أبرز المظاهر السلبية المنفشية في هذا المجال:

#### ١- ظهور العلم لدى الفساق:

حيث جاء في الهدي النبوي الشريف "قيل يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم، قلنا: يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: الملك في صغاركم والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٢: ص ١٣٣١).

فالحديث السابق كما يبدو يعرض جملة من التغيرات السلبية في واقع الأمة بينها درجة من التفاعل، بحيث ينتج بعضها عن بعض، ويكون أحدهما سبباً في ظهور الآخر، فترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سلوك خطير جاء نتيجة عدة عوامل كان من أبرزها ظهور الملك في الصغار حيث تقلد الحكم في بلاد المسلمين اليوم شباب صغار جاؤوا خلفاً لأبائهم وكذا شاعت الفاحشة في أكابر القوم وحصل على العلم الرذلاء.

ويشير (الكيلاني، ١٩٩٥: ص ١٧٧) إلى أن العلم عند كثير من المسلمين اليوم، أصبح لمجرد الحصول على الشهادات والألقاب العلمية دون أن يصاحبه نشاط علمي أو بحث معرفي وقد هبطت ثقافة الجماهير لتصبح ثقافة متع وغرائز.

ويؤكد (عمار، ١٩٩٨: ص ٦١-٦٤) على أن ذنبة تشوهات وانحرافات أخلاقية أخذت تنتامي في مجتمعات المسلمين ومن أبرزها عدم احترام الطلاب لبعضهم بعضاً ولأساتذتهم وانتشار الكذب والغش والتباذ بالألقاب بين المتعلمين.

وقد انتقد (السبكي، ١٩٨٨: ص ٨٣، ٨٤) طلاب الحديث في عصره بكثرة السماع من أجل التفاخر واعتبر ذلك العيب ناتجاً عن عدم الإخلاص في طلب العلم، كما استنكر على بعضهم التدابر والكذب.

## ٢- شيوع الدعوات الفكرية الهدّامة:

حيث أخبر الرسول ٣ عن أصحاب الدعوات الهدامة وأرشد إلى المسلمين إلى سبل الوقاية من أخطارها بقوله: "حينما سأله حذيفة هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قال يا رسول الله صفهم لنا، قال: قوم من جلدتنا يتكلمون بأسننتنا، قال: يا رسول الله فما ترى إن أدركنا ذلك قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قال: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" (مسلم، ب.ت، ج ٣: ص ١٤٧٥).

وما من شك أن البيئات العربية والإسلامية اليوم، أصبحت تعج بهؤلاء المثقفين ثقافة غريبة ويجهلون الإسلام بل يعملون على محاربتة في مشارق الأرض ومغاربها وهم -للأسف- يمثلون أمة الإسلام في كثير من المحافل الدولية ويدعون إلى أن تحاكي بلادهم بلاد الغرب في كل شيء، وقد اجتهدوا في ترويج ثقافة العرب وقيمه وأفكاره (مسعود، ٢٠٠٣: ص ٤٠).

## ٣- انتشار أبواق الدعاية وبطانة السوء:

وقد أخبر المعصوم ٣ عن ظهور هذه المعضلة في الأمة، و عرضها لنا في صورة منفرة ومثيرة "يكون قوم يأكلون بأسننتهم، كما تأكل البقرة من الأرض" (ابن حنبل، ب.ت، ج ٣: ص ١٨).

فالحديث السابق يتكلم عن ظاهرة ثقافية لا أخلاقية، تجسدت اليوم في سلوك المتشدين في الإذاعات وخطباء السمعة والمظهر والمال وكتاب الصحف الفاسدة، الذين يناصرون الخونة والظلمة والمنحرفين ويمتدحونهم بما ليس فيهم من أجل الحصول على مصالح دنيوية (الندوي، ١٩٩٠: ص ٣٦٠، ٣٦١).

## ج- المجال السياسي:

فمن أعظم هموم الوطن العربي والإسلامي اليوم، الاستبداد السياسي على أيدي فئة حاكمة تسلطت على شعوبها وأذلتها، لقد شكل هذا الاستبداد خطراً محدقاً على الأمة في فكرها وأخلاقها وفي قدرتها على الإبداع والابتكار، فالاستبداد في حد ذاته ليس مفسداً للسياسة فحسب، بل هو كذلك مفسد للإدارة والأفكار والأخلاق والدين والحياة كلها (القرضاوي، ١٩٩٧: ص ١٢٨، ١٢٩)، ومما يدل على ذلك، التلازم بين فساد الأنظمة السياسية والحكام من جانب وأشكال الانحراف الأخرى في نواحي الحياة الاجتماعية والأخلاقية والثقافية، وقد بدا ذلك واضحاً في عدد الأحاديث التي تخص واقع الأمة المعاصر. فالتسلط سمة بارزة في أنظمة الحكم التي تتحكم في مقدرات الشعوب المسلمة والتي عبر عنها بمصطلح الجبرية كما جاء في الحديث الشريف ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها" (الألباني، ١٩٩٥، ج ١: ص ٣٤).

وقد حدد الرسول ٣ لنا صفات ولاة أمور المسلمين من بعده في عصر الانحطاط، فهم أهل بدء يشجعون عليها، ويعملون على نشرها، وفي المقابل يحاربون سنته ٣ ، وهذا ما يفهم من خلال قوله ٣ للمسلمين: "سيلي أموركم من بعدي رجال يطفئون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها فقلت: يا رسول الله إن أدركتهم كيف أفعل؟ قال تنسألني يا ابن أم عبدٍ كيف تفعل: لا طاعة لمن عصى الله" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٢: ص ٩٥٦).

ففي واقع المسلمين اليوم انفصلت السياسة عن الدين، وحكم بغير ما أنزل الله وأصبح ذلك سمة بارزةً لأنظمة الحكم في بلاد المسلمين، فبعض الحكام يدعو جهراً إلى تطبيق غير حكم الله، كإباحة الزنا والفجور والخمر والتماثيل، ونبذ حدود القصاص والتمسك بالقوانين الوضعية، ومنهم من إذا دعوته إلى العودة للكتاب والسنة وأقوال الأئمة المسلمين سخر واستهزأ بهم، ومنهم الذي يعتبر أحكام الدين رجعية (حوى، ١٩٨٨: ص ٦) وأما على المستوى التشريعي فلم تزل الأنظمة العربية تحكم بالقوانين الفرنسية والإيطالية وغيرها، باستثناء الآخذ بقانون الأحوال الشخصية، وهي تستهجن مجرد محاولة استرجاع السيادة التشريعية للأمة (خاطر، ٢٠٠١: ص ١٤٩).

#### د- المجال الاقتصادي:

وليس الحال الاقتصادي في بلاد المسلمين بأقل سوءاً من غيره، حيث انتشرت البنوك الربوية التي تبتز الأموال عن طريق المصارف وإقامة شركات التأمين، وانتشار الملاهي والمسارح لاكتساب الأموال عن طريق الجنس والميوعة والانحلال (علوان، ١٩٩٣: ص ٤٦) وهذا ما حذر منه النبي ٣ بقوله: "ليأتين على الناس زمان لا يبالي الرجل من أين أصاب المال من حلال أو حرام" (النسائي، ١٩٨٦، ج ٧: ص ١٢٤٣).

وقد انتشرت التعاملات الربوية بصورة لم يسبق لها مثيل، حيث بنى اقتصاد الدول في عالمنا العربي والإسلامي على أساس الربا، حتى أن الناس لم يعدموا بعض من ينتسب للعلم الشرعي وبيح لهم هذا الربا (عبد العظيم، ١٩٩٨: ص ١٨).

#### ثالثاً: الأسباب المؤدية إلى التغيرات السلبية في واقع المسلمين المعاصر:

يعد قانون السببية من القوانين الأساسية في التصور الإسلامي، الذي يعتبر أنه ما من ظاهرة أوجدت إلا ولها سبب وسنة تختزنها في داخلها، سواء كانت الظاهرة إنسانية اجتماعية أو كونية مادية وأن هذه الأسباب لا تتبدل ولا تتحول (حسنة، ١٩٩٤: ص ٢٠) وفي ضوء هذا القانون، يمكن تفسير أبرز التغيرات السلبية في واقع المسلمين المعاصر، بردها إلى أسبابها الحقيقية كما جاءت في الكتاب والسنة وآراء العلماء المجتهدين وذلك على النحو الآتي:

أ- حب الدنيا واتباع الشهوات:

جاء في الهدى النبوي الشريف "صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل وطول الأمل" (البغدادي، ب.ت، ج ٧: ص ١١٦).

وحينما تحدث الرسول ٣ عن تداعي الأمم على أمة الإسلام وسئل عن السبب في ذلك، فأحاله إلى الوهن وهو كما فسره الرسول ٣ "حب الدنيا وكراهية الموت" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٥: ص ٢٧٨).

فحب الدنيا أصل التناقل إلى الأرض وسبب الاستئثار للشهوات والانغماس في الترف، وجاء في نَ آمَ تَلُوْجِيَهَ الْفَرَكِيْمَا (لَهَا فَايْلَزُ يَكُمُ اَنْفِرُ وَا فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ اِثْمًا قَدَلْتُمْ اِلَى الْاَرْضِ) (التوبة الآية: ٣٨) وما من شك في أن إيثار الدنيا له مضاعفات تعزز نتائج سلبية في الفكر والسلوك والثقافة حتى تبلغ قمته في بروز ظاهرة الكفر والاستخفاف بالدين والترف والفساد والتحلل من المسؤولية الأخروية (الكيلائي، ١٩٩٥: ص ١٩٥).

وأما كراهية الموت فثمرة حب الدنيا والحرص على متاعها مع تخريب الآخرة وانحطاط الهمم فحب الدنيا وكراهية الموت صنوان لا يفترقان، وأن الهمة العالية لا تسكن القلب الجبان الذي أورثته التربية الفاسدة حرصاً على الحياة (المقدم، ٢٠٠٣: ص ٣٣٣).

وقد حذر الرسول المربي عليه الصلاة والسلام من التنافس في الدنيا، وبين عاقبة ذلك بقوله مخاطباً المسلمين "قوا الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٢: ص ١٣٢٥) وقد كان الرسول ٣ يدعو الله قائلاً "ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا" (الترمذي، ب.ت، ج ٥: ص ٥٢٨) وفي واقع المسلمين اليوم بلغ حب الدنيا مبلغه حتى طغى على حب الدين وأفسده وهذا ما حذر منه المعصوم عليه الصلاة والسلام بقوله: "ليغشين أمتي من بعدي فتنة كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا قليل" (الحاكم، ١٩٩٠، ج ٤: ص ٤٨٥).

وحينما افتتن المسلمون بالمال والتجارة، وانشغلوا عن الجهاد في سبيل الله عز وجل عاقبهم بالذل والهوان، كما في واقعنا المعاصر الذي أخبر عنه الرسول ٣ بقوله "إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا أمر دينكم" (أبو داود، ب.ت، ج ٣: ص ٢٤٧).

#### ب- ضعف عقيدة الولاء عند المسلمين:

حيث ضعفت عقيدة الولاء عند المسلمين في القرون المتأخرة، وقد تجسد ذلك في إخلاص الحكام لأعداء الإسلام والعمل على تحقيق أهدافهم، عندما انهار مفهوم الولاء في نفوس المسلمين فأصبحوا جاهلين بواجباتهم تجاه دينهم وأمتهم فضلاً عن جهلهم بحقيقة عدوهم، وكان لنمط التربية في بلاد

المسلمين، دور كبير في تمييع ولاءهم وبراعتهم وقد تجسد ذلك من خلال المناهج التعليمية التي لم تنبثق عن فلسفة هذا الدين وقيمه (مسعود، ٢٠٠٣: ص ٥٥-٦٢).

ونشأ عن اضطراب مفهوم الولاء والبراء وفساده، غياب الالتزام بالعهد مع الله عز وجل، بل إن المعركة القائمة منذ عهد بعيد بين المسلمين و الخلف والتفكيك كل ذلك ناتج عن الولاء الفاسد للقائد والأقلية والعشيرة على حساب الولاء الخالص لله ولرسوله وللمؤمنين (النحوي، ١٩٩٥: ص ٦١).

### ج- التبعية لليهود والنصارى وتقليدهم:

حث القرآن الكريم على التقيد بالشرع وحذر من اتباع أصحابهم **لِأَنَّهُمْ أَنزَلُوا عَلَيْكَ آيَاتِ شَرِيحَةٍ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** (الجاثية الآية: ١٨).

ولقد نفشت بين المسلمين، ظاهرة التقليد الأعمى والتبعية للغرب في كل ما يصدر عنه من ماديات ومعنويات، حتى نادى بعضهم جهرة بأخذ كل ما في الحضارة الغربية بخيرها وشرها (القرضاوي، ١٩٩٧: ص ١٤) ولقد ظهر تـ طائفة من أبناء المسلمين لا يفكرون إلا بعقول غريبة، ذلك وهم لا يبصرون إلا بأعين غريبة، ولا يسلكون إلا الطرق التي مهدها لهم الغرب، وقد رسخ في نفوسهم أن الحق هو ما عند أهل الغرب حق والباطل ما يعدونه باطلاً (المودودي، ١٩٨٣: ص ٤٣).

ويشير (يالجن، ١٩٩١: ص ٤٤) إلى افتتان المسلمين بالثقافة الغربية ومناهجها والتبعية لها في العادات والتقاليد والنظم السياسية والاجتماعية والتعليمية.

وقد انتقد (الكواكبي، ١٩٧٠: ص ٢٣٨) أبناء المسلمين في عصره مخاطباً إياهم "يا قوم أنتم بعيدون عن مفاخر الإبداع وشرف القدوة، مبتلون بداء التقليد والتبعية في كل فكر".

ومن قبل أربعة عشر قرناً، أخبر الرسول ٣ عن حالة الإمعية والتبعية لليهود والنصارى كشكل من أشكال التفاعل الإنساني والثقافي في الاتجاه السلبي للتبعين سنن من كان قبلكم باعاً ببيعاً وذراعاً بذراعاً وشبراً بشبراً، حتى لو دخلوا حجر ضبٍ لدخلتم فيه قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى قال: فمن إذ ذاك؟" (ابن ماجه، ب.ت، ج ٢: ص ١٣٢٢) وقد تجسدت تبعية المسلمين لليهود والنصارى في مجالات عديدة، فهناك التبعية التشريعية حيث جعلت الحكومات قوانينها منقولة عن القوانين الغربية، رغم مخالفتها لعقيدة الإسلام وشريعته (القرضاوي، ١٩٩٧: ص ١٤٤) وأما في المجال الاجتماعي، فقد قلد المسلمون غيرهم في شرب الخمر، والاختلاط، والأزياء الغربية، هذا ولم يزل الاقتصاد في بلاد المسلمين، يدور في فلك الاقتصاد الغربي الذي ينتج ما يريد أن تنتجه وهو لا يريد لنا أن ننتج من الصناعات ما يجعلنا نستغني عنه وإذا سمح بذلك، كان بإشرافه وهيمنته، بحيث يكون هو المخطط والمستفيد، ولا زالت فئات من أبناء وطننا الإسلامي خاضعة بصورة أو بأخرى لفكر الغرب ولا زال لها أحزاب سياسية وأيدلوجية تنطق باسمه وتتنادي به أساساً لحياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولم تزل هناك دول وحكومات تقوم

على تبني هذا الفكر أو ذلك على تفاوتٍ بينها في مدى ما تعترف به للإسلام من حق في توجيه بعض الزوايا للحياة أو التشريع لها (القرضاوي، ١٩٩٧: ص ١٤٤) ومن بدهة القول أن الأنظمة المستبدة في بلاد المسلمين، كرسّت بممارساتها واقع التبعية وذلك من خلال استجابتها لقيم وأهداف وبرامج المسيطرين (المنوفي، ١٩٩٥: ص ١٢٥).

#### د - انحطاط التعليم وفساد التربية:

فالتعليم في بلاد المسلمين -في الغالب- إما تعليم علماني أو تبشيري، ولم تزل المدارس تجتهد في نقل مبادئ حضارة الفراعنة ومعاني القومية والاشتراكية، حتى وإن خالفت عقيدة المسلمين (عبد العظيم، ١٩٩٨: ص ١٩٢) ويلحظ في بلاد المسلمين اليوم، أن أكثر الشخصيات التي تقود التعليم تلقت تعليمها وثقافتها في الجامعات والمعاهد الماسونية أو العلمانية (علوان، ١٩٩٣: ص ١٤٧) ومما زاد الأمر سوءاً، انفصال التخصصات العلمية عن معاني الإيمان، فلم تصطبغ التخصصات المختلفة بصبغة الإسلام ولم تشبّع المهن بروح الإيمان (عبد العظيم، ١٩٩٨: ص ٨٨).

ويصف (التوم، ١٩٨١: ص ٦) منهج التربية في العالم العربي والإسلامي بقوله: "إن المادة التربوية المتداولة بيننا -بالإضافة إلى ما فيها من القصور- لا تنطلق من منطلقات إسلامية" ويشير (محبوب، ١٩٨٧: ص ٦٩-٧١) إلى أن الأخذ بمنهج الغرب التعليمية في بلاد المسلمين، قد أدى إلى تخبط وتمزق المجتمعات الإسلامية، وازديانواع الشرع وإعاقة النمو الروحي والأخلاقي.

وقد انتقد (حسنة، ١٩٩٥: ص ٧٣-٧٥) مناهج التعليم في بلاد المسلمين من حيث كونها ربت الحواس على الذل ووضعت النفوس على الهزيمة النفسية وتقبل المنكر، فضلاً عن دورها في محاصرة مفهوم الجهاد وتهميش أبعاده ومدلولاته.

#### رابعاً : مواجهة التغيرات السلبية في واقع المسلمين في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي:

إن من أهم خصائص المنهج الإسلامي أنه تغيير، لا يقبل التعايش مع واقع سيئ، ولا يرضى بالترقيع والترميم وأنصاف الحلول (يكن، ١٩٩٦: ص ١٧).

لقد كانت المسافة بين الإسلام -يوم جاء- وبين واقع الناس في الجزيرة العربية وفي الأرض كافة مسافةً هائلة، وكانت النقلة التي يريدونها لهم بعيدة وقفت في وجهها ألوان من القوى، فالإسلام لا يكتفي بتغيير العقائد والتصورات والقيم والموازين والعادات والتقاليد والأخلاق والمشاعر، إنما يريد كذلك أن يغير الأنظمة والأوضاع والشرائع والقوانين لينتزع قيادة البشرية من يد الطاغوت والجاهلية، ويردها إلى الإسلام (قطب، ١٩٩٢: ص ٥١، ٥٢).

إن التغيير من الحسن إلى الأحسن ومن السلب إلى الإيجاب، أصبح اليوم علماً قائماً بذاته له وسائله وآلياته وشروطه وخططه وتخصصاته الكثيرة، تشارك فيه عدة علوم ولم يعد عملاً بسيطاً ساذجاً، وإنما أصبح ثمرة لمجموعة علوم وخبرات ومعارف متراكبة ومتراكمة، تبدأ من الإحاطة والرؤية والشمولية لواقع الحال واكتشاف السنن والأسباب التي تحكمه وتنشئه، ووضع الخطط ورسم سبل التغيير لتبديل الواقع في ضوء الإمكانيات المتوفرة والظروف المحيطة (حسنة، ١٩٩٥: ص ١٧٧).

إن إصلاح واقع الأمة، يأتي ابتداءً من العمل وينطلق من خلال إعادة بناء الإنسان في بلاد المسلمين بتصحيح معتقداته وقيمه وتصوراتهِ ومفاهيمه وتعديل أنماط سلوكه، ومن أجل مواجهة التغييرات السلبية في واقع المسلمين المعاصر، واستبدالها بواقع أفضل يقترح الباحث صيغة تربية علاجية يتحدد مضمونها في ضوء حقيقة الواقع وأسبابه، وينطلق من فهم دقيق لسنن التغيير في الإسلام ويمكن إجمال هذه الصيغة فيما يأتي:

#### أ - تصحيح العقيدة وتربية الإيمان في النفوس:

تعد العقيدة قوة فكرية، تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية والثقافية وفقاً لسياسة متكاملة، تتخذ أساليب ووسائل هادفة، فهي حركة فكرية هادفة لها فعالية إيجابية في الواقع الاجتماعي وفي العلاقات الاجتماعية وهي قوة تؤدي إلى تغيير جذري في البناء الاجتماعي والسياسي (بدران، محفوظ، ١٩٩٧: ص ١١٢).

وحينما سئل الرسول ﷺ عن خير القول في الإسلام أجاب "قل آمنت بالله ثم استقم" (مسلم، ب.ت، ج ١: ص ٩٥) فالإيمان أساس الاستقامة في القول والسلوك، وفي المقابل فإن تدني مستوى التمسك بالقيم الإسلامية راجع بالدرجة الأولى إلى ضعف العقيدة الإسلامية في نفوس أصحابها ومما ساعد على ذلك، الغزو الفكري عن طريق التكنولوجيا الحديثة، كما أن المدارس في بلاد المسلمين، لا تكون العقيدة الدافعة إلى السلوك بموجبها (بالجن، ١٩٩١: ص ٢٩، ٣٠).

فالإيمان -في حقيقته- حركة وعمل وبناء وتعمير وليس انكماشاً وسلبية وانزواءً في مكونات الضمير وليس مجرد نوايا طيبة لا تتمثل في السلوك (قطب، ١٩٨٠، ج ٦: ص ٣٩٦٧).

إن "مفتاح شخصية هذه الأمة ومفجر طاقاتها، هو الإيمان الذي جعل هذه الأمة من قبل خير أمة أخرجت للناس وحقيقة لها النصر على أعظم الإمبراطوريات في الأرض على الرغم من قلة عددها وضعف عدتها" (القرضاوي، ١٩٨٥: ص ٢١).

وإذا كانت الأمة الإسلامية اليوم في صراعٍ خطير مع قوى الكفر التي تملك الكثير من الإمكانيات المادية، في حين أن الأمة ليس لديها من أسباب التفوق المادي ما يغني، فإن المعركة ستكون خاسرة بالنسبة لها ما لم تمتلك التفوق الإيماني المطلوب (حوى، ١٩٨٤: ص ٤٦) والإيمان المطلوب ترقيته في نفوس المسلمين "لا يكون مجرد معرفة ذهنية ولا مجرد حشو الذاكرة بعبارات ومصطلحات عن الرب

والدين والعبادة والتوحيد بأقسامه والطاغوت والجاهلية ثم الامتلاء عجباً وغروراً بأن هذا هو كل الإيمان ومحض اليقين" (القرضاوي، ١٩٩٢: ص ٧٣)، فالإيمان المطلوب هو الإيمان الصادق الذي يقر في القلب تصديقاً و يقيناً ويفيض على الجوارح سلوكاً وعملاً إنه الإيمان الذي يضيء القلب ويحرك الإرادة ويوجه العقول ويوظف الطاقات، ليكون صورة عملية واقعية يتجلى فيها، ليثبت وجوده أنه الإيمان الذي يصلح القلوب ويهيئ النفوس وينشأ الإنسان خلقاً آخر ويصبه في قالب جديد، فيغير هدفه ويهذب سلوكه وذوقه ونظراته للحياة (الخطيب، ب.ت: ص ص ١٨، ١٩).

وفي ضوء ما سبق، ينبغي الاهتمام بما يلي:

١- تصحيح العقيدة لدى المسلمين، إذ أن التغيير نحو الأفضل لا يبدأ من المنطلقات المادية والدوافع الأولية والاحتياجات الآنية فهي -مع أهميتها- تبقى تابعة للمنطلقات المعنوية، التي تشكل القوام الأساس لإنسانية الإنسان لذلك يبدأ التغيير بضبط المعتقدات من خلال ربطها بخالقها وموجدتها عز وجل مما ينتج عنه توجيه السلوك في الاتجاه الصحيح (الأسمر، ١٩٩٧: ص ٣١٥).

٢- ترسيخ مفهوم التوكل على الله عز وجل والاستعانة به في السراء والضراء واللجوء المستمر إليه بالدعاء لإصلاح النفس وتقبل العمل والثبات على المحن والفتن عملاً بالتوجيه النبوي الشريف "لا يُرد القدر إلا بالدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" (الحاكم، ١٩٩٠، ج ١: ص ٦٧).

ومن الضروري تبصير الفرد المسلم، بالشروط الواجب توافرها في الدعاء، وقد حرص الرسول ﷺ على تعريف الصحابة رضوان الله عليهم بها كما جاء في قوله لمعاذ رضي الله عنه "يا سعد أظ ب مطعمك تكن مستجاب الدعاء" (الطبراني، ١٩٩٤، ج ٦: ص ٣١١).

٣- غرس عقيدة الولاء والبراء في نفوس المسلمين وتحويل هذه العقيدة إلى أنماط سلوك والتزامات فعليه تجاه المجتمع والأمة وعلاج كل مظاهر الولاء الفاسد لغير المسلمين.

٤- إعادة تأصيل مفهوم الإيمان ليشمل المظهر الاجتماعي للعبادة بدلاً من حصره في المظهر الديني وحده، ولتتركز تطبيقاته في قلب الاجتماع البشري على الأرض.

٥- إبراز أهمية تكامل عناصر الإقرار لمؤمنين أي "الهوية" و "الجنسية" و "الثقافة" والتأكيد على استحالة الفصل بينها، فالأمة التي تتحدد فيها هوية الإنسان و جنسيته على أساس الإيمان هي وحدها التي تكون قيمها ونظمها وأخلاقها وعاداتها وتقاليدها وفضائلها وفنونها وشبكة العلاقات الاجتماعية فيها مستمدة من الإيمان (الكيلاني، ١٩٩٥: ص ٥٢).

ب- تعزيز البناء الروحي:

يمثل الجانب الروحي في الإنسان، الركيزة الأساس التي بمقتضاها يتجه إلى عمل الخير والنشر، كما أن صلاحه يؤدي إلى إصلاح الجوانب الأخرى، كما جاء في الهدى النبوي "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" (ابن حنبل، ب.ت، ج ٢: ص ٢٣٨).

ويتضمن الإعداد الروحي للفرد المسلم، تطهير النفس من الرذائل والنيات السيئة، التي تجعل الروح مريضة (بالجن، ١٩٨٦: ص ٣٤٥) كما يستهدف إعداد الإنسان الورع الذي يراقب الله عز وجل في أعماله ويرتبط به نفسياً وروحياً (معن، ب.ت: ص ٨٨) ويمكن أن يتعزز هذا البناء من خلال الأخذ بالوسائل التالية:

١- إبراز مدى حاجة الفرد المستمرة إلى الله عز وجل في كل أموره وتكوين الوعي الكامل لديه بأهمية

الحياة الروحية ودورها في وقاية الفرد والمجتمع والأمة من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية

وَتَلْمِيكِيْنَ صَالِحِيْنَ فَلِلَّهِ الْأَرْضُ ۚ إِنَّ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ إِنَّ

تَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَرَأَوْا مَوَدَّةَ اللَّهِ وَرَأَوْا مَوَدَّةَ اللَّهِ وَرَأَوْا مَوَدَّةَ اللَّهِ (الحج

الآيتان: ٤٠، ٤١).

٢- تعويد المسلم على أداء العبادات بروحها لا بشكلها وقد أوصى الرسول ﷺ بالالتزام بالعبادات لاسيما

في وقت الفتن "العبادة في الهرج كهجرة إلى" (مسلم، ب.ت، ج ٤: ص ٢٢٦٨).

٣- تربية الفرد على الزهد في الحياة الدنيا وقصر الأمل فيها.

٤- إكساب المسلم مهارات التعامل مع كتاب الله وسنة الرسول ﷺ قراءة وتدبراً وفهماً وممارسةً.

٥- تربية المسلمين على مقاومة أهواء النفس ومجاهدتها لإصلاحها، واكتساب المهارات اللازمة

لتغيير ما في النفس نحو الأفضل.

٦- تكوين استعداد قوي واتجاه راسخ، لدى المسلم نحو ترك المعاصي والذنوب، وبيان آثارها المدمرة

على المجتمع والأمة، والترفع عن الشبهات والتسابق في ميادين الخير المتنوعة، وقد جاء في

التوجيه النبوي الشريف عن أبي الدرداء قال: أوصاني خليلي ﷺ لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت

وحرقت، ولا تترك صلاة مكتوبة متعمداً فمن تركها متعمداً فقد برئت منه الذمة، ولا تشرب الخمر

فإنها مفتاح كل شر" (ابن ماجه، ب.ت، ج ٢: ١٣٣٦).

### ج- إصلاح مناهج التعليم والتربية:

التربية إحدى القوى الفعالة والمؤثرة في عملية الإصلاح، ذلك أن التغيير في طبيعته أفكار

وممارسات، ترتبط بالتربية بوصفها من القوى الاجتماعية الحاملة للأفكار والمحرك للممارسات، فهي التي

تؤسس المفاهيم وتنشئ الأجيال على قيم ومبادئ وتكسيهم مهارات وقدرات وصفات العيش والتفاعل

والتكيف في المجتمع المتغير، ولقد كان أنبياء الله الذين أرسلهم سبحانه وتعالى لهداية البشر معلمين من الطراز الأول، أثروا في أوقامهم بالكلمة وقادوا الأمم في دروب حياتية عملية، وكذا كان زعماء الإصلاح السياسي والاجتماعي والفلاسفة والمفكرين مربيين ممارسين (قمبر، ١٩٩٢: ص ص ٥٥، ٥٦).

والإصلاح الذي نسعى إليه في تعليمنا وتربيتنا من أجل تغيير واقعنا يقرض أن يكون شاملاً كل عناصر العملية التعليمية، وقائماً على أسس علمية صحيحة ومستمدتاً أصالته من روح الإسلام ونبض الشريعة من خلال مراعاة ما يأتي:

١- انطلاق عملية الإصلاح من خلال فلسفة تربوية إسلامية، مستمدة من مصادر التشريع واجتهاد العلماء المتخصصين.

٢- توافر عنصر الكفاءة العلمية والأخلاقية فيمن يتصدر لعملية الإصلاح.

٣- الاعتماد على المصادر الذاتية في تمويل خطط وبرامج الإصلاح والتحرر من تدخل ووصاية الدول المانحة التي غالباً - ما توجه عملية الإصلاح والتطوير لصالح أهدافها الخاصة.

٤- من أولويات الإصلاح التي نرى ضرورة إدخالها على عملية التعليم في بلاد المسلمين:

- إعادة النظر في صياغة برامج إعداد المعلمين وتربيتهم في ضوء التحديات الثقافية التي تواجه الأمة، وبشكل يجعلهم قادرين على أداء واجباتهم على أفضل وجه.
- الأخذ لمبدأ النمو المهني المستمر للمعلم وإتاحة الفرص الكافية له ليتدرب أكثر ويكتسب المهارات اللازمة لتطوير أداءه.
- ترسيخ مبدأ التعبد بالعلم لدى المعلم والمتعلم.
- استخدام الأساليب والوسائل العملية في التدريس وعدم الاستغراق في الطرائق اللفظية.
- الاهتمام بتوجيه الطلبة نحو توظيف المعلومات والمعارف في واقع الحياة، وتطبيق ما اكتسبوه من قيم أصلية في واقع حياتهم.
- تعزيز مبدأ الحوار الإيجابي بين المعلم والمتعلم من جهة وبين المعلمين والإدارة التعليمية من جهة أخرى.
- تحفيز المتعلمين والمعلمين على الإبداع والابتكار وإتاحة الفرص الكافية لتنمية قدراتهم ومواهبهم الخاصة.
- العمل على تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية للمعلمين، حتى يشعروا بنوع من الأمن الوظيفي ويتنافسوا في أداء رسالتهم.
- التركيز على غرس وتنمية القيم الروحية الأخلاقية والآداب الإسلامية لدى المتعلمين.
- تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو البحث وأساليب التفكير العلمي لدى المتعلمين.
- تفعيل دور الأسرة في مساندة التعليم المدرسي وتطوير دورها التربوي والثقافي.

- العمل على تطوير أداء الإعلام الإسلامي -بوسائله المختلفة- ليقوم بواجباته التربوية على أفضل وجه ممكن.

- إحياء رسالة المسجد التربوية، والعمل على ترقية أدائه باعتباره عاملاً قوياً في تغيير واقع المسلمين من خلال بنائه المتميز للشخصية المسلمة بكل أبعادها.

#### د - تنمية الثقة بالنفس:

من المتعارف عليه أن الانهزام النفسي عاملاً خطيراً وداءً لا يتسلط على أمة إلا ساقها إلى الفناء، وهو أشد على الأمة من الجيوش الجرارة ومن الأسلحة الفتاكة (يوسف، ١٩٩٧: ص ٢٠٠٠).

ولقد أفلح الاستعمار في تكوين جيل يستحي من الانساب للإسلام ويكره أن يري وهو يقوم بشيء من شعائره خصوصاً بين المثقفين الكبار والطبقات التي تهين للحكم والنفوذ (الغزالي، ١٩٩٠، ص ١٤٤) ومن هنا برزت الحاجة الماسة إلى تربية الفرد المسلم على مقاومة روح السلبية والجبرية واليأس والانهزامية المميتة التي تشيع بين الناس أن لا فائدة ولا أمل في تغيير الواقع أو إصلاحه (القرضاوي، ١٩٩٧: ص ١٣٣-١٣٥). ويمكن تنمية ثقة المسلم بنفسه ورفع مستوى الروح المعنوية لديه من خلال:

١- تنمية الشعور لديه بأنه مخلوق مكرم ومستخلف على الأرض.

٢- تربيته على الاعتزاز بالإسلام ورفض كل أشكال الذل والهوان، وتعزيز انتمائه لأمتة خير أمة أخرجت للناس، من خلال بيان أوجه تميزها على الأمم الأخرى في العقيدة والمعاملة والعلاقات وأن الأمم الكافرة وإن ترفعت في النواحي المادية اليوم فإن تفوقها وعلمها يبقى مقصوراً على ظاهر من الحياة الدنيا، وبالتالي لن يكون الكافراً عقالاً من المسلم ولا أفضل منهجاً.

٣- تعويد الفرد المسلم وتشجيعه على إبداء رأيه وقول الحق واحترام نفسه وعدم احتقارها أو انتقاصها، عملاً بالتوجيه النبوي الشريف "لا يحقر أحدكم نفسه قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: يرى أمراً لله عليه مقللاً ثم لا يقول فيه فيقول الله عز وجل له يوم القيامة ما منعك أن تقول كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: فإياي كنت أحق أن تخشى" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٢: ص ١٣٢٨).

٤- تربية الفرد المسلم على تحمل الأعباء والقيام بالمهام، فمن هدى رسول الله عليه الصلاة والسلام تكليف بعض شبان الصحابة بأعمال عظيمة كقيادة الجيوش فقد أمر ر أسامة بن زيد على قيادة الجيش، الذي وجهه لقتال الروم بالشام، وكان عمره ثماني عشرة سنة وفي الجيش عمر بن الخطاب وكبار الصحابة (ابن كثير، ١٩٩٣، ج ٦: ص ٢٩٧، ٢٩٨).

#### هـ - إسباب الفرد المسلم سمات الشخصية الفاعلة:

ففي منهجنا التغييري، لا بد أن نصوغ الإنسان المسلم من جديد، قبل بناء العمارات وانشاء المصانع وتعبيد الطرق وتنظيم الحياة المادية، فلا بد لأن نعبد إليه شخصيته المسلوقة وانسانيته الضائعة وتحريره من عوامل الخوف والقلق كي نضعه على طريق البناء من جديد (عبد الحميد، ١٩٨٣: ص ٦٨).

ومما لاشك فيه أن غياب القدرة على إنتاج مثل هذه النماذج الفاعلة يعني وجود خلل في التربية وعطب في وسائل الدعوة والبلاغ وأساليب إحداث التفاعل (حسنة، ١٩٩٤: ص ٥، ٦) والشخصية الفاعلة التي تمتلك القدرة على الإصلاح وتغيير واقع المسلمين السلبي ينبغي من وجهة نظر الباحث- أن تتوفر فيها جملة من السمات نجل أبرزها فيما يلي:

- ١- الإحساس العميق بالمسؤولية وامتلاك مهارات التفكير الناقد وعدم التذرع بالواقع.
- ٢- تستثمر قواها وطاقتها التي وهبها الله إياها وتحسن توجيهها نحو إعمار الكون.
- ٣- حب الخير للآخرين والحرص على إفادتهم.
- ٤- مخالطة الناس، وتحمل أذاهم، وتجيد فن الاتصال بهم.
- ٥- التعاون مع الآخرين في مجال الخير.
- ٦- الحرص على المصلحة العامة.
- ٧- حب العمل والحرص على إتقانه.
- ٨- تقدم النصح والإرشاد للآخرين، وتمتلك الشجاعة الأدبية لقول الحق، ومواجهة الباطل بحكمه.
- ٩- تدرك حقوقها، وتؤد ي حقوق الآخرين عليها.
- ١٠- تشارك في إصلاح المجتمع، وتقاوم الفساد وتتصر الحق أينما وجد.
- ١١- صابرة محتسبة أمام الابتلاءات والمحن، عملاً بالتوجيه النبوي الشريف "إن من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيه أجر خمسين شهيداً منكم" (الترمذي، ب.ت، ج ٥: ص ٢٥٧).
- ١٢- آماله واثقة بوعد الله عز وجل للمسلمين الصالحين بالنصر **قَوْلَهُمْ كَيْتَبُ (بِ) فِي الزَّبُورِ مِنْ** **الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ** (الأنبياء الآية: ١٠٥) ومستبشرة بما جاء في الهدى النبوي من أن الإسلام وسينتشر ويظهر في الأرض كله ليبلغ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل به الكفر" (ابن حبان، ١٩٩٣، ج ١٥: ص ٩٣).

و - ترسيخ منهج الإتياع بدلاً من التقليد:

أمرنا بالعلم وبمحاولة التعلل بالتيار من ههنا ( ر بكم و لا تتبعوا من دونه أو ليهاء  
قديلاً ما تذكرون ) (الأعراف الآية: ٣) وحذر سبحانه وتعالى من اقتفاء أثر السبل المنحرفة بقوله: (ذَهَذَا  
صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ لَئِنْ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهُمْ يَبْذَرِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ) (الأنعام الآية: ١٥٣).

واعتبر القرآن الكريم إتباع الرسول الله ﷺ والإقتداء به دليلاً على صدق الإيمان والحب لله عز  
وجل إن كنتم وتجدون الله فاتبعوه وذي فئرد بلكم دليل لوجهكم و الله غفور رحيم ) (آل عمران  
الآية: ٣١) ويقصد بالإتباع في المفهوم الإسلامي العمل بالدليل من كتاب أو سنة أو إجماع وغيرها من  
الأدلة" (الشنقيطي، ١٩٩٣: ص ٢٢).

وأما التقليد فهو يعني الأخذ بمذهب الغير من غير معرفة دليله (الشنقيطي، ١٩٩٣: ص ٢٢).

والإتباع في حقيقته مرادف لمفهوم الإقتداء والفرق بينهما جوهري، إذ يقتدي الإنسان بغيره عن وعي في حبه  
يقلد شعورياً أو لا شعورياً بدافع التعلم أو التهمك أو لمجرد المحاكاة (الناصف وآخرون، ب.ت: ص ٤٧).

ولقد حذر الإسلام من مخاطر التقليد الأعمى، وأمرنا بالنظر، وإعمال العقل فيما بين أيدينا من  
ظواهر الكون، ونهانا في الوقت نفسه عن التقليد الذي هو تعطيل للعقل عن دوره في الوجود (عثمان،  
١٩٩٩: ص ٢٤-٢٧).

وجاء في التوجيه النبوي الشريف، تحذير للمسلمين من تقليد غير المسلمين أو التشبه بهم في  
أنماط سلوكهم وعاداتهم "ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود  
الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالكف" الترمذي، ب.ت، ج ٤: ص ١٥٩).

وفي ضوء ما سبق ينبغي تربية الفرد المسلم على مبدأ الاقتداء وتوعيته بعيوب وأخطار التقليد  
وتفكيره من الإمعنة في الفكر والسلوك والتي تقضي إلى شخصية ضعيفة وسلبية غير قادرة على اتخاذ  
القرار المناسب أو المشاركة الفاعلة في بناء المجتمع وإصلاحه.

### ز- التربية على مبدأ الانفتاح الواعي:

حثت السنة النبوية المطهرة على تلمس مواطن الحكمة عند الآخرين من خلال الانفتاح عليها  
والنظر فيها" الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها" (ابن ماجة، ب.ت، ج ٢: ١٣٩٥).

فالانفتاح على ما عند الآخرين يعكس حالة من المرونة في التفكير في حين ينجم الانغلاق -  
غالباً - عن سوء خلق وفساد في التفكير كما يستفاد من خلال قوله تعالجه لهم لعيستهم ون به  
إنهم نجاوي إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً (الإسراء الآية: ٤٧).

وقد أوصى (ابن تيمية، ب.ت، ج ٤: ص ١٠٩-١١٥) بالانفتاح على علوم الآخرين وندد  
بالتعصب والانغلاق اللذين شاعا في عصره وأجاز ترجمة أفكار غير المسلمين ليُعلم ما عندهم، وينتفع

به في مناظراتهم ومخاطبتهم، كما دعا إلى نقل علوم الآخرين في مسائل الطب والحساب وغير ذلك من العلوم مادام الهدف الانتفاع بها لصالح الإسلام والمسلمين.

وعرض (القرضاوي، ٢٠٠٠: ص ٧١-٧٦) لمحاذير الانفتاح على خبرات الغير، والتي تتمثل في الانفتاح قبل مرحلة النضج والتساهل في الأخذ عن الآخرين والانبهار بثقافتهم والاقتراس دون حدود أو ضوابط وحتى يكون الانفتاح مجدياً وأمناً فإنه من الضروري مراعاة ما يأتي:

١- تمكين الفرد المسلم من قدر مناسب من الثقافة الإسلامية الشاملة والمتنوعة.

٢- إكسابه مهارات الحوار الهادف والمثمر.

٣- تبصيره بأداب الاختلاف مع الآخرين، وتعيده على ممارستها، وتنمية الحرص لديه على الالتزام الثابت والمستمر بها.

٤- معالجة مظاهر التعصب المذهبي والتشدد والمغالاة في النواحي الفقهية والفكرية حالة وجودها عند الأفراد والجماعات المسلمة، وترسيخ مبدأ التسامح الديني لديها.

#### ح- تعزيز مبدأ التخطيط وامتلاك مهاراته:

إن مجرد امتلاك القيم والقناعات بضرورة تغيير الواقع الفاسد في بلاد المسلمين، دون توافر خطط يتولد عنها برامج، لا يؤدي إلى الإصلاح والتغيير و "قد أصبح التخطيط في حياة الشعوب علماً ممتداً تنمو قواعده مع نمو تلك الشعوب الغارقة في جاهليتها وظلمها وعدوانها والمسلمون غافلون عن ذلك كثيراً ويغلب عليهم الارتجال وردود الأفعال الآنية، بحيث يخرجون من نكبة ليدخلوا في غيرها، في حين أمدَّ التخطيط تلك الشعوب بالقوة وفسادهم بالانتشار" (النحوي، ١٩٩٩: ص ٧٢).

يُعد الأخذ بمبدأ التخطيط، سلوكاً تقتديه عقيدة الإسلام، لأن من معاني التوكل على الله عز وجل الأخذ بالأسباب المتاحة والمسلمون مأمورون بالإعداد وامتلاك القوة عملاً بالتوجيه القرآني (عِدُوا إِسْلَامَ تَطْعَمَ تَطْهُمُ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) (الأَنْفَالِ آيَةَ: ٦٠).

فالآية السابقة دعوة للإدارة الإسلامية بالعمل والتخطيط والاستعداد بقوة لمواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته، وذلك ببناء الرجال الأقوياء في إيمانهم وأبدانهم، وقوة السلاح بكل أنواعه (حسن، ب.ت: ص ٩٧).

فالتخطيط يشكل بالنسبة للمسلمين، جزءاً من العقيدة، وفتجسد بشكل جلي من خلال سيرة الرسول ٣ وأصحابه الأبرار، ولقد كانت مسيرة الدعوة الإسلامية في عهد النبوة الخاتمة والخلفاء الراشدين تسيير على خطة تجمع لها الجهود وتوفر لها الإمكانيات (النحوي، ١٩٩٩: ص ٨٣) ولقد ذهب (حوى،

١٩٨٨: ص ٨-١٠) إلى اعتبار أن التخطيط الأعلى للأمة الإسلامية، هو أعظم المهمات المطلوبة إذ شكل قوة وحركة ذاتية دافعة نحو التغيير.

إن التخطيط القائم على إحصاء دقيق ومعرفة بالحاجات المطلوبة ومراتب أهميتها والإمكانات المتاحة، ليس وسيلة -فقط- لإصلاح واقع المسلمين المعاصر، بل لتحقيق السيادة والتمكين في الأرض ولذا ينبغي أن يكون طموحاً ومتفوقاً على غيره من نماذج التخطيط لدى غير المسلمين ويرى الباحث أن هناك أولويات ينبغي أن ينصرف إليها التخطيط من أجل تغيير واقع المسلمين نحو الأفضل والتي يمكن تلخيصها في الآتي:

١- التخطيط من أجل إعادة بناء الفرد المسلم، ذلك أن أحوال الناس وأوضاعهم لا تتغير إلا بتغيير محتوى الإنسان، فإذ لم تتغير في النظام والمفاهيم دون الإنسان، فسرعان ما يتسرب الفساد من الإنسان إلى النظام فيوقضه، لأن الأناثية وحب الذات والجشع أقوى من القوانين والأنظمة ما لم تهذبها التربية العميقة والأخلاق الكريمة (نوفل، ١٩٨٩: ص ص ٤١٨، ٤١٩).

٢- التخطيط لتزويد الفرد المسلم بثقافة إسلامية صحيحة وشاملة.

٣- معالجة أسباب الفرقة والاختلاف بين الجماعات الإسلامية العاملة في ميدان الدعوة، والأخذ بأصول الوحدة.

٤- مواجهة مؤامرات وخطط الأعداء.

٥- إدارة المؤسسات المختلفة بكفاءة.

٦- تطوير أداء الدعاة إلى الله.

٧- امتلاك الطاقات البشرية المتخصصة والتميزة.

٨- التخطيط لإعداد القيادة الربانية من خلال مراكز التدريب المختلفة.

٩- التخطيط لإدارة الأزمات بحكمة وفعالية.

١٠- التخطيط للعمل الاقتصادي وإدارة الموارد البشرية؛ لأن القوة الاقتصادية، عصب الحياة الدنيا وقوامها.

١١- التخطيط لتطوير الإعلام الإسلامي، ورفع مستوى أدائه بما يخدم جهود الإصلاح في المجتمع.

١٢- التخطيط لترسيخ مفاهيم ومبادئ الجهاد في سبيل الله وتطوير أدواته المختلفة.

**ط- إحياء مفهوم الجهاد لدى المسلمين:**

إن من الواجب على الأمة الإسلامية اليوم، لتنهض وتتقدم وترتقي مصاعداً المجد أن تجاهد بمالها ونفسها الجهاد الذي أوصى الله به في القرآن الكريم مراراً عديدة، فالجهاد بالمال والنفس هو العلم الأعلى الذي يهتف بالعلوم كلها، فإذا تعلمت الأمة هذا العلم وعملت به دانته لها سائر العلوم والمعارف (أرسلان، ١٩٨٩: ص ١٦٤).

وقد أمر الله عز وجل عباده المؤمنين بالجهاد في مواضع عديدة من كتابه الحكيم منها قوله  
فَأَفَأَوْ تَقَالِلًا وَتَعَلَّىٰ إِهْدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ لِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة الآية: ٤١).

وحدث الرسول ﷺ المسلمين على الجهاد بأنواعه بقوله: "جاهدوا المشركين بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم" (الحاكم، ١٩٩٠، ج ٢: ص ٩١).

وأخبر المعصوم ﷺ عن استمرار حالة الجهاد لنصرة دين الله عز وجل بقوله: "لن يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى الساعة" (مسلم، ب.ت، ج ٣: ص ١٥٢٤).

و "الجهاد مصطلح واسع فضفاض، فهو يعني استفراغ الوسع، وبذل الجهد في مدافعة الأعداء على تعدد الميادين، واختلاف نوعية الأعداء من صراع مسلح، إلى مرابطة على الثغور، إلى جهاد بالمال واللسان والقلب ومجاهدة النفس والشيطان" (الخطيب، ب.ت: ص ٤٦).

ويمكن ترسيخ مفهوم الجهاد وحياته لدى المسلمين من خلال:

١- بيان مفهومه الإنساني والأخلاقي وتوضيح أنواعه المختلفة، الجهاد باللسان من خلال الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد بالمال والنفس.

٢- التصدي للدعوات المغرضة التي تسيء إلى مفهوم الجهاد وتحاول نعتة بالمغالاة أو التطرف والإرهاب من أجل محاصرته فكاً وسلوكاً.

٣- بيان وجه الحاجة إليه وتوضيح ثماره ودوره في تحرير الإنسان ونشر دعوة الإسلام وتحقيق الرخاء الاقتصادي والحياة الكريمة والأمن والسلام، فضلاً عن الثواب الجزيل الذي وعد به المجاهدون والشهداء في الآخرة.

٤- توضيح الأضرار الكبيرة المترتبة على تعطيل فريضة الجهاد، والمتمثلة في إضعاف شوكة المسلمين وإذلالهم، وتكريس التبعية لأهل الكفر، وتجذير عوامل التخلف في جميع ميادين الحياة وتسهيل مهمة أعداء الإسلام في السيطرة على مقدرات الأمة المسلمة ونهب خيراتها ومحاصرة برامجها وآمالها وتطلعاتها.

## ٧ النتائج والتوصيات:

### النتائج:

خلص الباحث من خلال دراسته إلى نتائج عديدة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

١- لدراسة وتفسير التغيرات السلبية في واقع المسلمين المعاصر؛ ينبغي الانطلاق من فهم دقيق لسنن التغيير في الإسلام، حتى نستطيع الوقاية من أسبابها ومواجهتها بكفاءة.

٢- أخبر المعصوم ٣ أصحابه رضوان الله عليهم عن تغيرات سلبية ستحدث في حياة المسلمين المستقبلية، وقد وقعت بالفعل في جميع مجالات الحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية وقد تبين أن هذه التغيرات على درجة كبيرة من التفاعل والتأثير، والتأثير وأن أوقاها أثراً التغيرات السياسية، إذ حينما تتحرف السياسة فإن جميع مجالات الحياة تكون مرشحة للانحراف والانحطاط.

٣- أظهرت الدراسة أن التغيرات السلبية في واقع المسلمين المعاصر، ترجع بالدرجة الأولى إلى عوامل وظروف داخلية عقائدية وروحية تتمثل في حب الدنيا واتباع الشهوات وضعف عقيدة الولاء لدى المسلمين، وعوامل أخرى نفسية وفكرية تتمثل في الإمعية وتقليد أهل الكفر واتباع نهجهم عن غير وعي، كما أن انحراف التربية وفسادها في بلاد المسلمين يعد سبباً قوياً لتفاقم المعضلة وأما العوامل الخارجية المتمثلة في أساليب الغزو الثقافي لأمتنا فهي تأتي بالدرجة الثانية.

٤- توصل الباحث إلى صيغة تربوية لمواجهة التغيرات السلبية في واقع المسلمين المعاصر، تحددت مضامينها في ضوء فهم سنن التغيير، وتشخيص الحالة المرضية وتحديد أسبابها، فجاءت هذه الصيغة متكاملة العناصر والأبعاد شاملة جوانب عديدة، روحية وفكرية ونفعية وإدارية وجهادية.

٥- رغم انحطاط واقع المسلمين وضعفه إلا أنه قابل للتغيير نحو الأفضل لا محالة، وهذا ما أثبتته القرآن الكريم وأكدته السنة النبوية المطهرة، ويدركه المتفهم لسنن التغيير الربانية.

#### التوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

١- تبصير المتعلمين بسنن التغيير في الإسلام، لاسيما في المرحلة الجامعية نظراً لاهتمام الشباب بموضوع التغيير واندفاعهم نحوه بقوة.

٢- لمواجهة الواقع المرير الذي تعيشه الأمة اليوم، لابد من امتلاك القدرة الكافية على نقد الذات والشجاعة الأدبية في تقييمها بصورة علمية وموضوعية بعيداً عن الانفعالات العاطفية.

٣- تشجيع مبدأ الحوار والانفتاح بين الحركات الإسلامية لعلاج الخلافات بينها، ومن ثم الانطلاق نحو إصلاح الواقع بين بلاد المسلمين من خلال تبني برامج واضحة محددة، ومجمع عليها بحيث يتعاون الجميع من أجل تحقيقها.

٤- من الضروري أن تتعاون المؤسسات الاجتماعية والثقافية -في بلاد المسلمين- على اختلاف وظائفها من أجل إعداد الشخصية المسلمة، وتطوير المجتمع وتنمية قدرته على مواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية.

٥- الاهتمام بإعداد قيادات إسلامية على درجة من الوعي تمتلك مهارات إدارية وخبرة عالية وثقافة عامة وتخصصية في مجالات عديدة من العلوم الشرعية والإنسانية والتطبيقية، وليكن ذلك من خلال معهد تربوي خاص.

#### المقترحات:

يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

- ١- دور الانتفاضة الفلسطينية المباركة في تعزيز القيم الإسلامية.
- ٢- منهج الشيخ أحمد ياسين في مواجهة الاحتلال وتغيير الواقع الفلسطيني.
- ٣- دور المؤسسات الإسلامية في ترسيخ مفهوم الالتزام لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني.
- ٤- منهج الحركات الإسلامية المعاصرة في التغيير "دراسة مقارنة".
- ٥- فقه التغيير من خلال كتابات سيد قطب.
- ٦- صيغة تربوية مقترحة لمواجهة مظاهر الاستبداد السياسي في ضوء النظام العالمي الجديد.
- ٧- خطة مقترحة لتطوير برامج الإصلاح لدى الحركات الإسلامية المعاصرة.
- ٨- المتطلبات التربوية لإعداد جيل النصر دراسة تحليلية في سورة الإسراء.
- ٩- منظومة القيم اللازمة للتعليم الفلسطيني في ظل متغيرات العصر وتحدياته.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولاً : قائمة المصادر :

القرآن الكريم: تنزيل من رب العالمين.

- ١- ابن تيمية، أحمد تقي الدين (ب.ت): **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب (عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم العاصمي، الدار العربية، بيروت.
- ٢- ابن حبان، محمد ابن، (١٩٩٣): **صحيح ابن حبان**، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣- ابن حنبل، أحمد (ب.ت): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٤- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمرو (١٩٩٣): **البداية والنهاية**، تحقيق (أحمد عبد الوهاب) دار الحديث، القاهرة.
- ٥- ابن ماجة، الحافظ إلى عبد الله (ب.ت): **سنن ابن ماجة**، تحقيق (محمد عبد الباقي)، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- ٦- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٩٩١): **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.
- ٧- أبو داود، الإمام الحافظ الأشعث السجستاني الأزدي (ب.ت): **سنن أبي داود**، دار الفكر، بيروت.
- ٨- الألباني، محمد ناصر الدين (١٩٩٥): **سلة الأحاديث الصحيحة**، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٩- البخاري، الإمام أبي عبد الله (١٩٨٧): **صحيح البخاري**، مكتبة دار المعرفة، بيروت.
- ١٠- البغدادي، الخطيب أحمد بن علي (ب.ت) **تاريخ بغداد**: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١- البيهقي، أحمد بن الحسين (١٨٨٩): **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٢- الترمذي، أبي علي محمد (ب.ت): **الصحيح الجامع**، تحقيق (أحمد شاکر)، دار التراث العربي، بيروت.
- ١٣- الحاكم، محمد بن عبد الله (١٩٩٠): **المستدرک علی الصحیحین**، تحقيق (مصطفى عبد القادر)، دار النشر للكتب العلمية، بيروت.
- ١٤- الطباطبائي، محمد حسين (١٩٨٣): **الميزان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت.
- ١٥- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (١٩٨٧): **جامع البيان في تفسير القرآن**، دار الريان، القاهرة.
- ١٦- الطبراني، سلمان بن أحمد (١٩٩٤): **المعجم الوسيط**، دار الحرمين، القاهرة.
- ١٧- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (١٩٨٦): **سنن النسائي**، دار المطبوعات الإسلامية، حلب.
- ١٨- عبد الفتاح، إبراهيم أحمد (١٩٨٣): **القاموس القويم في القرآن الكريم**، مجمع البحوث الإسلامية.
- ١٩- مسلم، الإمام أبي الحسن (ب.ت): **صحيح مسلم**، تحقيق (محمد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

### ثانياً : المراجع :

- ١- أبو دف، **محمود خليل** (١٩٩٢): "الجانب الإيماني في التربية الإسلامية وانعكاساته على حياة الأفراد"، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان.
- ٢- أرسلان، الأمير شكيب (١٩٨٩): **لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم**، دار الكلمة الطبية، القاهرة.
- ٣- الأسمر، أحمد رجب (١٩٩٧): **فلسفة التربية الإسلامية - انتماء وارتقاء**، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان.
- ٤- البناء، حسن (١٩٩٢): **مجموعة الرسائل**، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة.

- ٥- التويم، خالد يوسف (١٩٩٦): "التبعية الفكرية في مجال التربية وعلاجها من منظور إسلامي"، رسالة دكتوراه، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، جامعة أم القرى.
- ٦- السيروان، الشيخ عبد العزيز (١٩٨٢): أحاديث سيد المرسلين عن حوادث القرن العشرين، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ٧- السباعي، مصطفى (ب.ت) السنة النبوية ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق.
- ٨- الشنقيطي، عبد الله عمر (١٩٩٣): التقليد في الشريعة الإسلامية، دار البخاري، المدينة المنورة.
- ٩- الغزالي، محمد (١٩٩١): كفاح دين، مكتبة وهبة، مصر.
- ١٠- الفرقاوي، عبد الحي (١٩٨٨): زاد الدعاة من هذا القرآن الكريم، ج٣، مطبعة الفتح التجارية، القاهرة.
- ١١- القرضاوي، يوسف (١٩٨٩): الخصائص العامة للإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ١٢- القرضاوي، يوسف (١٩٩٧): الصحوه الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ١٣- القرضاوي، يوسف (١٩٩٢): أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ١٤- القرضاوي، يوسف (١٩٨٥): أين الخلل، دار الصحوه للنشر.
- ١٥- القرضاوي، يوسف (٢٠٠٠): ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، دار الشروق، القاهرة.
- ١٦- الكواكبي، عبد الرحمن (١٩٧٠): طبائع الاستبداد ومصارع الاستبعاد، تحقيق محمد عمار، الهيئة المصرية العامة للتأليف، دار النشر القاهرة.
- ١٧- الكيلاني، ماجد عرسان (١٩٩٥): الأمة المسلمة - مفهوما، مقوماتها، إخراجها -، مكتبة دار الاستقامة، مكة المكرمة.
- ١٨- المقدم، محمد أحمد إسماعيل (٢٠٠٣): علوم الهمة، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الاسكندرية.
- ١٩- المتوفى، محمد إبراهيم (١٩٩٥): "تحو فلسفة تربوية لمواجهة الاستبداد السياسي".
- ٢٠- المودودي، أبو الأعلى (١٩٨٣): نحن والحضارة الغربية، الدار السعودية، جدة.
- ٢١- الناصف، محمد (ب.ت): آراء في التربية، الشركة التونسية للتوزيع.
- ٢٢- الندوي، أبو الحسن، (١٩٩٠): ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة السنة، القاهرة.
- ٢٣- النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٨٨): الإصلاح التربوي والاجتماعي والسياسي من خلال المبادئ والاتجاهات التربوية عند الناج السبكي، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٢٤- النحلاوي، عبد الرحمن (١٩٩٨): التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٢٥- النحوي، عدنان (١٩٩٩): فقه الإدارة الإيمانية في الدعوة الإسلامية، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٢٦- النحوي، عدنان (١٩٩٥): واقع المسلمين - أمراض وعلاج، دار النحوي للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٢٧- بدران، سبل، فاروق، محفوظ (١٩٩٧): أسس التربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
- ٢٨- حسن، عبد الفتاح دياب (ب.ت): التخطيط والرقابة نجاح الإدارة، سلسلة مطبوعات المجموعة الاستشارية العربية.
- ٢٩- حسنة، عمر عبید (١٩٩٤): رؤية منهجية في التغيير، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ٣٠- حوى، سعيد (١٩٨٨): جند الله تخطيطنا، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٣١- حوى، سعيد (٢٠٠٤): جند الله ثقافة وأخلاقاً، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٣٢- حوى، سعيد (ب.ت): كي لا نمضي عن احتياجات العصر، دار السلام، القاهرة.
- ٣٣- سارة، ناثر (١٩٩٠): التربية العربية - إنجازاتها، مشكلاتها، تحدياتها، منتدى الفكر التربوي، عمان.
- ٣٤- سبع، توفيق محمد (ب.ت): نفوس ودروس في إطار التصوير القرآني، ج٢، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة.
- ٣٥- عبد الحميد، محسن (١٩٨٣): منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت.

- ٣٦- عبد العظيم، سعيد (١٩٩٨): كيف نحل مشاكلنا، دار الإيمان، الإسكندرية.
- ٣٧- عثمان، محمد عثمان (١٩٩٩): تقليد العرب -أشكاله وعواقبه-، دار الرشيد، دمشق.
- ٣٨- علوان، عبد الله ناصح (١٩٩٣): الشباب المسلم في مواجهة التحديات، دار الإسلام للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٣٩- علي، سعيد إسماعيل (١٩٩٣): أصول التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٤٠- عمار، حامد (١٩٩٨): نحو تجديد تربوي ثقافي، الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- ٤١- قطب، سيد (١٩٩٢): المستقبل لهذا الدين، دار الشروق، القاهرة.
- ٤٢- قطب، سيد (١٩٩٣): خصائص التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة.
- ٤٣- قمير، محمود (١٩٩٢): التربية وترقية المجتمع، القاهرة، دار سعاد الصباح.
- ٤٤- محسن، عبد الحميد (١٩٨٣): المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، مصر.
- ٤٥- محمد، أحمد علي الحاج (٢٠٠٣): أصول التربية، دار المناهج، عمان.
- ٤٦- مسعود، زياد محمد (٢٠٠٣): "الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام"، رسالة ماجستير، كلية التربية والجامعة الإسلامية، غزة.
- ٤٧- معن، حسين (ب.ت): نظرات حول الإعداد الروحي، مؤسسة أهل البيت للطباعة والنشر، طهران.
- ٤٨- مطر، على سيف الإسلام (١٩٨٦): التغيير الاجتماعي - دراسة تحليلية من منظور التربية الإسلامية، الوفاء للنشر والطباعة.
- ٤٩- ناصر، إبراهيم (١٩٩٠): مقدمة في التربية، دار عمار، الأردن.
- ٥٠- نوح، السيد محمد (١٩٩٠): آفات على الطريق، ج ١، دار الوفاء، المنصورة.
- ٥١- نوح، السيد محمد (١٩٩١): منهج أهل السنة والجماعة في قضية التغيير، دار الوفاء، المنصورة.
- ٥٢- نوفل، أحمد (١٩٨٩): سورة يوسف (دراسة تحليلية)، دار الفرقان، عمان.
- ٥٣- يالجن، مقداد (١٩٨٦): جوانب التربية الأساسية، دار الهدى، الرياض.
- ٥٤- يالجن، مقداد (١٩٩١): منابع مشكلات الأمة الإسلامية ودور التربية الإسلامية وقيمها في معالجتها، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٥٥- يكن، فتحي (١٩٩٦): الشباب والتغيير، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٥٦- يوسف، محمد (١٩٩٧): التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم، دار السلام للطباعة، مصر.